AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00974 2457

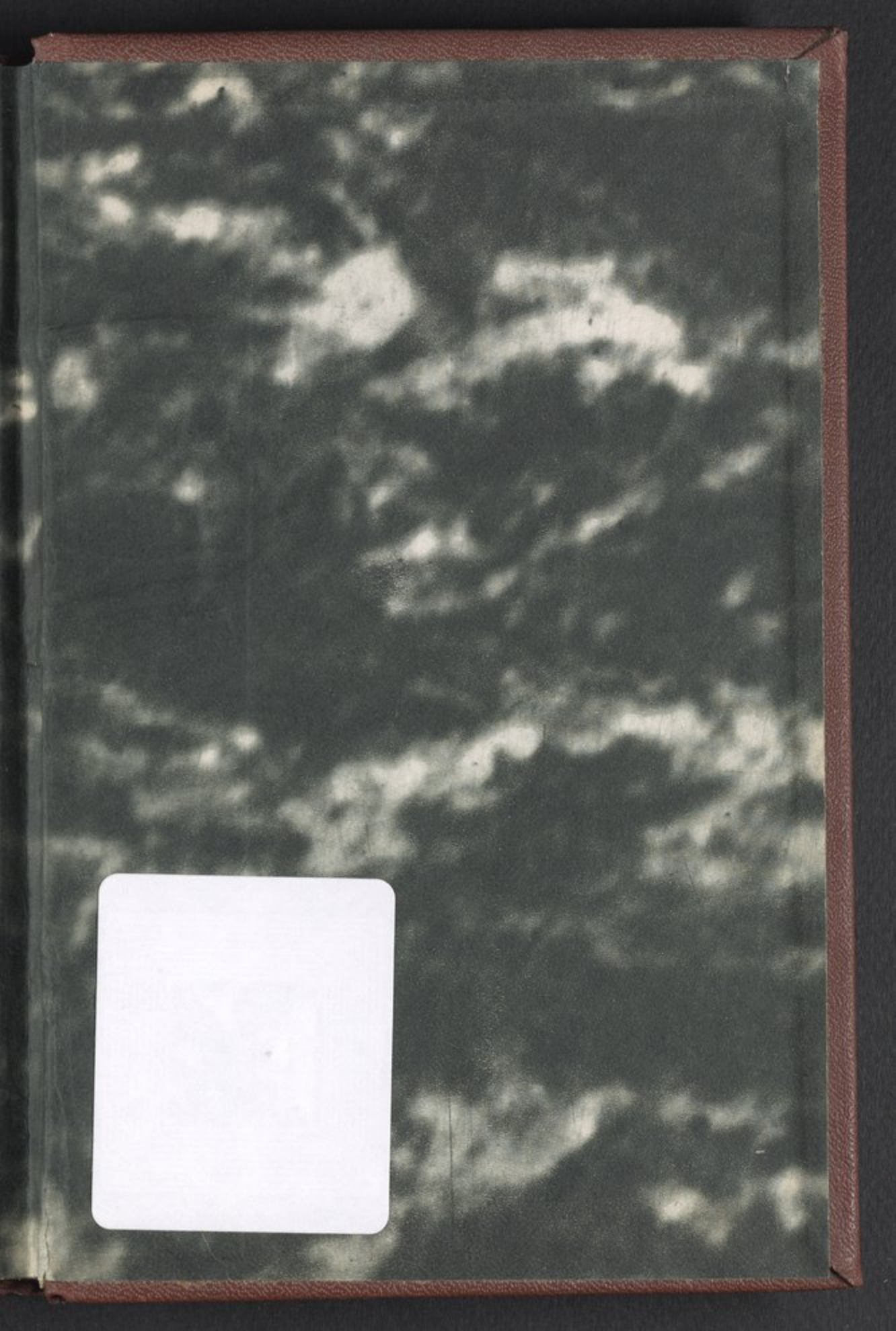

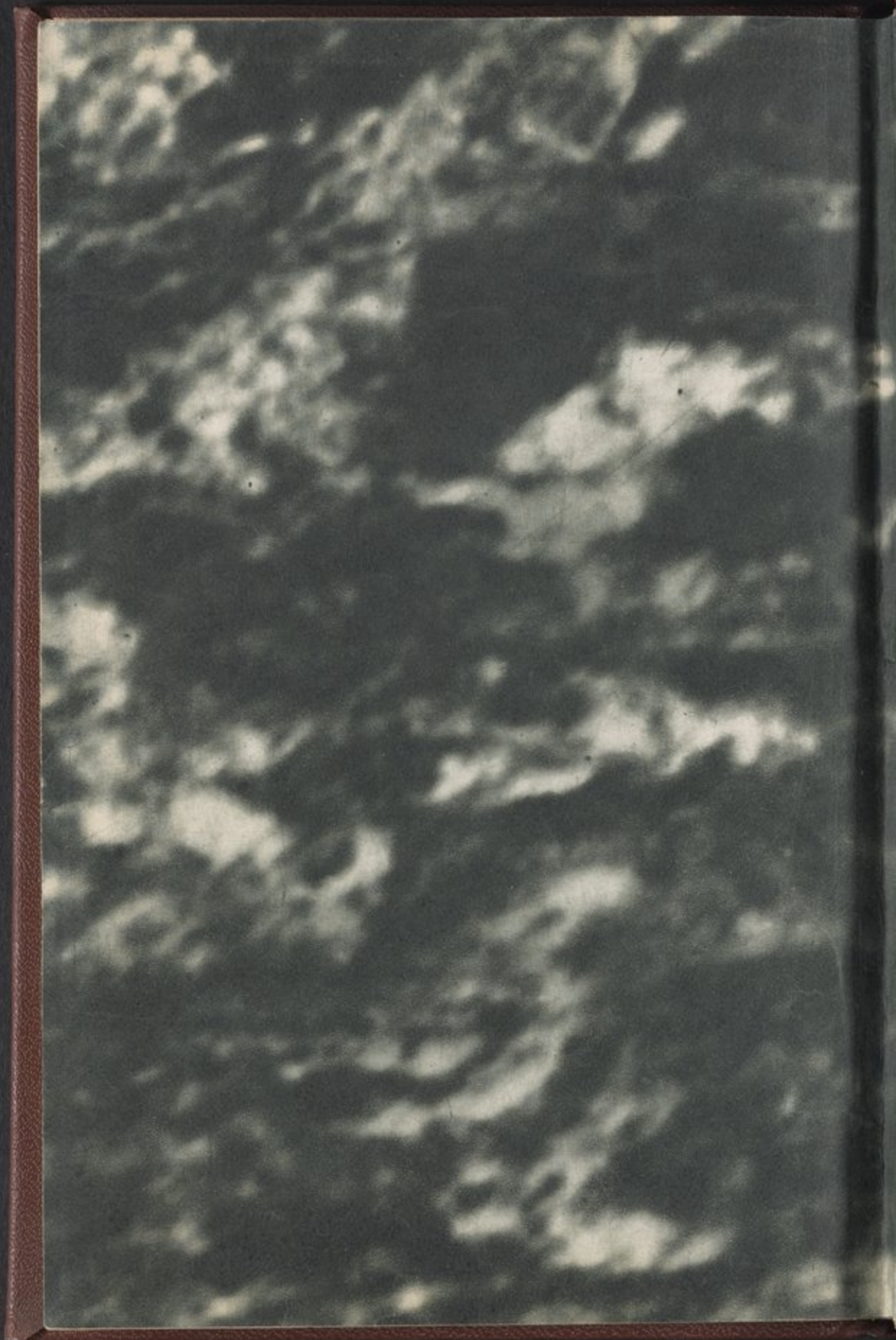

02-8742

Jan 20

IBIS

Pj
7814
Q6
A3X
1942

al-'Aqqād, 'Abbās Maḥmūd

A'āsīr Maghrib

أعاصير مغرب

نظم

عباس محمود العقاد

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٦١هـ — ١٩٤٢م

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى - شارع محمد على : مصر

لصاحبها : مصطفى محمد

حقوق إعادة الطبع محفوظة للمؤلف

الإهـــــداء

إيه يا من أوحت الشعر وخانت شاعرَهْ
لك أهـــديه لِوَحيكْ

✡ ✡ ✡

إيه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكرَهْ
لك أهـــديه لرعيك

✡ ✡ ✡

هكذا أبرأ فى الحالين من حمد خيانة
وأصون العهد ممن رام شعرى بصيانة
وأدارى حيرتى خافيةً أو ظاهرة !

مقدمة

فى اسم الديوان

شاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به ونستطيب الكلام والصمت معه

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به ونحب القراءة فيه

وبين الشاعرين فارق . فما هو؟ أيكون الأول أصدق فى الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى الأسلوب ؟

قد يكون كذلك

ولكنه كذلك قد لا يكون

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه لا يلزم أن يكون خيرا من الغريب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه . فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقاً وأجمل سمتاً وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلينا أنه يشاركنا فى الشعور ويعيش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعينها هى مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة . فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن لم يكن كذلك

واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء آخرين لا يبثون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق نفاذ . أما الشاعر الذى نقرأه ولا نصادقه فقد يجيد ويفضل غيره فى الإجادة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف

ومنهم فى اللغات الأوربية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريد عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

« أنظر إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه : أسألك يارب إلا ما جعلت لى قلباً يذبل مثل هذا الذبول

« إنى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وإنى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور

« غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه

البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى مافى الظهيرة من خلجة واضطراب »

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان ، وهو « أعاصير مغرب » ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكر الأعاصير

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان ... لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان « الشيخ » هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه

ورأيى فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد « وحى الأربعين » .... بل أعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى [1] وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلىّ اليوم اسم ديوانى الجديد . فأثنيت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : « إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها

---

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨

إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لاريب فيها ولا اختلاف عليها . إذكل مايجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحيانا . . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولا رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلا جيداً بعد السبعين ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لابد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . . »

ثم قلت : « على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب ولا مثلٌ غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها ـ فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب ؟ أما نحن فنقول : لا . لأن الحب شىء والغزل شىء غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه

« فالحب » عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما

لاينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فان هذه لا تسمى حبا ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة

« ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معاً بعلاقة لا لايغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوربا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه

« فالحب على هذا لايستلزم الغزل لافى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء

« إن الذين يقتلون أنفسهم حبا من غير الشعراء الغزليين أكثر جداً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لايحسن الغزل بغير حب ، ولكن لاريب كذلك فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين

يهبط الحب ، على درجات لاتناسب بينها فى العلو والهبوط

« . . . والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه « وظيفة فزيولوجية » مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لايعلم ماالذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصاً من حبه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لاالصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه

« والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهم بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف مواضع الكشف والحجاب من القلوب ؟ وقبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كيف يعرف المرأة ! بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب العاطفة التى تنضجها الحياة ؟

« فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه

« . . . . فللشباب حبه ، والرجولة حبها ، وللكهولة بعد ذلك حب لايشبه الحبين

« . . . . وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة وتقضت بعدهما الكهولة فهل تنفد مؤنة الغزل أوهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكار وكلاهما مؤنة للغزل لاتنفد وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عالجوا النظم فى خوالج النفوس شيوخا وشباناً لعلمنا منهم أن خير مانظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة ثائرة أيا كان فحواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكار . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة ، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام

« . . . فلا عجب أن يجيد هاردى الغزل أو يجيده سواه من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لاريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردى فى الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقرية ، ولكنها كانت إجادة هاردية

عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التى لم تفارقه فى شباب أو شيخوخة ،

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شىء يخالف مابدا لى من هذا الرأى منذ نظرت فى حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة واحدة أو يختمها عهد واحد . فهى - ككل شىء فى الحياة - تزداد فهما على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاشتكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم فى عالم الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب . وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذى تُفاجَأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها مايشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك فى حالة كحالة الشاب فى أول عشقه : وجه ساهم ، وفم مفغور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونفس مطرود . . . . وهذه هى

الحالة التى يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتى هذه الرياضة شيئاً فشيئا مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور

فى هـــذه الحالة ـ حالة المفاجأة ـ تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحُ الإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكنّ سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدنية لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفاها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولامبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم

الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفاً يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولايعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعاً فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار علىّ صاحبنا هاردى فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع عنان الاختيار دون المراد

* * *

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين بل الثمانين ؟

قلت يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات هاردى إن لم تشأ ... فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين كما تلم به فيما وراء السبعين

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى

يقظة الحياة ومعترك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم « عيد ميلاد أخير » فقال :

« آن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواه ، ولكنى وقد حُرمت من يهوى إلىّ ، حسبى نصيباً من الحب أن أهوى

« إن أيامى لمكتوبة على الورقة الذاوية . إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعى . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى لى .... لى وحدها تحيى

« وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركانٍ فى عزلة قاصية ، حممُها لا توقد جذوة أخرى ، وإنما هى نار تبيت على سرير الردى

« وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغيرى . ذلك الحظ المقسوم من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها حصة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟ »

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ، ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا حياة ، ولكنْ هكذا كان على ما أراد أو على غير ما أراد . فماذا تغنى

السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ، والزمن وحده أن يصدقهما أو يكذبهما فيما يقولان

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى الشعرية فسميت الجزء الأول منها « يقظة الصباح » وسميت الجزء الثانى « وهج الظهيرة » وسميت الجزء الثالث « أشباح الأصيل » وسميت الجزء الرابع « أشجان الليل » ... ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير ... فهل نحن راجعون ؟ وهل للشمس من « يوشع » يؤجل لها مواقيت الغروب ؟ إن كان للشعر « يوشعه » فليس نصيب هاردى من مغربه المديد أمنية أشتهيها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب ؟

عباس محمود العقاد

في العالم

LIBRARY

يارب .. ويا خلق !

* * *

يارب !

يارب أعطيناك أرواحنا فى هذه الحرب وفى الماضية
ياربنا فاقض لنا مرةً بالسلم فى أيامنا الباقية

ياخلق !

ياخلق ما أرواحكم سمحةٌ عندى ، ولا إن سمحت كافية
أعطيتمُ إبليس أضعافها من حَيوَاتٍ عندكم غالية
وبعتمُ فى سوقه كلّ ما وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتروا السلم بأرواحكم بل اشتريتم نقمة ثانية
عطاؤكم إبليس سمحٌ بلا أجر ولا أمنية خافية
وما بذلتم قط لى قُربةً إلا رجاء العفو والعافية !

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا ... لم لاتعدموا من الظلم رغما
لو وقفتم يوما إلى جانب المغلو ... ب ما فاز غالبٌ قطُّ ظلما

قريب قريب

عجبنا زمانا لهذى الحروبْ ... وما فى الحروب لعمرى عجيب
أتعجب من أن قوما تمو ... ت، ومن أن قوما قساة القلوب
وما قسوة الناس بدعٌ ولا ... أرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب ياصاحبى ... كلا طرفيها قريب قريب

فصـــد !

قالوا هى الحرب فصْدٌ ... به الشفـاء يُؤمَّـل
قلنا : نعم . فصد عرق ... حىّ وإعفاءُ دُمَّـل !

الخلود المزدرَى

نفـــوسٌ أعاف مقـامى بهـا ... أأخـــلد فيها ؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودى به ... أليس كفيـلا ببغض الوجود ؟
فدع عنـــك ياصاحبى خالِد ... يك ، وقل من مُزَكٍّ لهم أو شهيد
فـلا خـير فى عيشهم سرمدا ... إذا سُرمدوا فى ضَمـير القرود
فرب خـــلود كقيد السجـــين ، ونسيان قوم كفك القيود

سوء توزيع

دنيـاك فيهـا جمـــال ... ورحمـــة وسرور
تُلـــقَ ولا تبتغيهـا ... وتُبتَغى فتجـور (١)
هـذا هو الشر عنـدى ... ومنـــه تنمو شرور

---

(١) جار عن الطريق : حاد عنه

بأس الطغاة

بأس الطغاة تقول ؟! مهلا . عداك الذهول
هيهات يطغى ابن أنثى فى أمـــةٍ أو يصول
مالم يعنـــه عليها جهل وحقد دخيل
هما الأصيلان فاعـــلم وكل طاغ وكيل
وما لطاغٍ سبيـــل لولاهما أو دليـــل

الداء العالمى

أرثى لـــه عالَمـــا شقيـــا
يُقاد مستسلمـــاً زريًّـــا
ومن هم القائدون ؟.. رهط
من شرهم خســـةً وغيـــا
هـــذا هو الداء لاقتال
يطوى صفوف الجموع طيـــا
فالجهـــل يزرى بكل حى
ولا تعيب المنـــون حيـــا

قلت للمريخ [١]

قلت للمـــريخ أعـــذله ... وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك! ماهذا الخراب؟ وما ... ذلك الإغراق فى العطب ؟
أمٌ تسطـــو على أمم ... ولظى ثوارة اللهـــب
ودماء كالبحار عـــلى ... عيـــلم [٢] الدمع منسكب
وقبـــور كظَّها تَخَما ... جثُث الهلكى من السَّغب [٣]

* * *

قال : مـهْ ياصاح أين ترى ... كلَّ ماالستهولتَ واعجبى
أرضـــكم مازلت أبصرها ... نائيـا حيناً وعن كثب [٤]
هَيِّن ماقـــد تبدّل من ... سمتها فى هـــذه الحقب

---

(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب
(٢) بحر
(٣) الجوع
(٤) عن قرب

جزاه الله

جزى الله هتلر أوفى الجزاء ... بما قد أجاد وما قد أساء

فما زال يقذف من حوله ... مواعظَ يلقفها من يشاء

ألم تر كيف يكون الحقير ... حقيراً ويقضى بأيدى القضاء

وينهى ويأمر فى قومه ... ويبرم فى أمرهم مايشاء

ويغزو الممالك فى عالم ... تُفدَّى ممالكه بالدماء

ويفتح باريس فى وثبةٍ ... ويوصد لندن دون الهواء

فوالله ماالحرب فى هولها ... وفى كل ماخيّبت من رجاء

بضائعةٍ عبثا لودرى ... بنو آدم كيف يُزجَى الثناء

فقد يضخم العمل المزدرى ... فيضخم ضعفين فى الازدراء

فى النفس

هذا هو الحب !

غريرةٌ تسأل : ماالحب ؟
بُنيتى ! هذا هو الحب !

✡ ✡ ✡

الحب أن أُبصر مالا يُرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ماسرّنى فان أبى ، فالكذب المفترى

✡ ✡ ✡

الحب أن أسأل : مابالهم لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بهرا وما فكرا ؟

✡ ✡ ✡

الحب أن أفرق (١) من نملة حيناً ، وقدأصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارةً متبلا وخطوتى تمشى بى القهقرى

✡ ✡ ✡

الحب كالخمر فإن قيل لى سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم . ولا أحفل أن أسكرا

✡ ✡ ✡

---

(١) أخاف

الحب أن يفرق أعمارنا عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبنى الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أن أجمع فى لحظة جهنم الحمراء والكوثرا
وإننى أخطئ فى لهفتى من منهما روّى ومن سعّرا

* * *

الحب أن يمضى عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت فى ساعةٍ حواشى الدفتر والأسطرا

بُنيّتى ! هـذا هو الحب
فهمته ؟ كلا . ولا عتب !
مسألة أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شفت حسب ،
إشارة دق لها القلب

عمر زهرة

فريدةٌ فى روضها أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها فى كل عيد، واسلمى
ألست أنتِ مثلها علمت أو لم تعلمى
هديةَ الخلاق لى وقدرأى تنسمى؟ (١)

* * *

زهرتك البيضاء هلاّ تذكرين نشرها؟ (٢)
حفظتها فى خدرها هل برحت مقرها؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظتِ سرها؟
قصصتُ منها عقدة لكى أطيل عمرها

* * *

من يحفظ الزهرة أسبوعا إلى تمامه
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه
فانتظريه فى غد يسأل عن غرامه
ولا يمسه إلا لكى يزيد فى أيامه

* * *

وتسألين ما لنا نقص منه ياترى ؟

---

(١) تنسم تلطف فى طلب الخبر أو الرائحة (٢) رائحتها

نعم فكل حـ ـىّ ناقصٌ ما عُمِّرا
كم ساعة نبترها تزيد فيه أشهرا
فلا يزال مشتهًى ولا يزال أخضرا

كوبيد يتسلل

نفض النعاسَ فؤادُه وصبا وصحا، فمال، فهام، فاضطربا
ونفى السآمة بعد ما بلغت منه المُشاش [1]، وعاود اللعبا
وجرى الذى ما كان يحسبه يوما يكون، وطالما حسبا
فى توبة الخمسين يشغله وجهٌ، ويملأ صدره رغبا
ويظل يسأله، وإن وهبا . . . ويبيت يسمعه، وإن كذبا
ويعد منه الزور مأثرة أو لا يريد بزوره سببا ؟!

---

(١) رأس العظم

✡ ✡ ✡

رجع الهوى . عجباله ، عجبا ! لا طاغياً وافى ولا لجبا
لم أُولِهِ بابا ولا كنفا عندى ، فكيف أطل واقربا
ناديتـــه حينا فراوغنى فاليوم نادانى وما طُلبا
بينا أقول صددته حذرا طلع النهار إذا به انسربا
لذ يابنى بمن يـــلاذ به ولك الحمى ، مالم تهج غضبا

✡ ✡ ✡

هـــذا الصغير على غرارته يدرى النفاق ويحسن الأدبا
وتراه فى العشرين مستبقا وتراه فى الخمسين مصطحبا
ويغيظ من كيد وعربدة فإذا أغيظ شكا أو انتحبا
متمرّسا بالدهر مختـــبرا خِيم (١) القلوب محاذراً دربا
سأضمه رفقا ، وأوسعـــه برا ، وأملك قلبه حدبا (٢)
ويقيم لاأخشى كِنانته (٣) ... السهم أخطأ والحسام نبا

✡ ✡ ✡

---

(١) الخيم : الطبيعة
(٢) عطفا
(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلا يحمل كنانة يرمي بأسهمها من يلقاه

أ كذاك أم هو خادعى أبداً حتى إذا أمن الحمى انقلبا؟
سيان . ماأنا حاذر لغـــد أغلبته بالكيد أم غلبا
حذرى أشد علىّ من خدع تُشقى وتُسعد بالمـــنى نُوَبا
فى كل يقظة خائف هرم ومع الخديعة لذة وصبا

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع (١) يدى
وضُمّن الطرسُ إحساسى وإدراكى
مالى به غـــير مسرور ولا كلِف
ألا يسرَ يمينا نبتُهـــا الزاكى
ضيّعتُ فيكِ مسراتى فما بقيت
لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به
عن عالم ضاحك أو عالم باك

دنيا مقلوبة

صوت النذير (٢) الذى أبقاك خائفةً ... على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً ... إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحب والحرب واويلا قد اجتمعا ... فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

---

(١) القلم
(٢) النذير بالغارات

الحب

ماالحب روح واحدٌ فى جَسدىْ معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما فى الجسدين
ماانتهيا من فرقة أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أترانى لاأسمع الطير إلا فى رياضى معششاً لايريم [١] ؟
رب شاد فى هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال ، وحيناً من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقلّ [٢] وداع وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كلّ يوم جديداً فسواء جديده والقديم
كم مُوَلٍّ وصفوه لايولى ومقيم وصفوه لايقيم

---

(١) يفارق
(٢) حين يبرح ويسافر

الصدار الذى نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك

✡ ✡ ✡

هنا هنا عند قلبى يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل على المودة حسبى

✡ ✡ ✡

ألم أنل منك فكرةْ فى كل شكة إبرةْ
وكل عقدة خيطٍ وكل جرة بكرة!

✡ ✡ ✡

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك
والقلب فيه أسير مطوّق بحصارك !

✡ ✡ ✡

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مرّ منه إلىّ طيف غريب ؟

✡ ✡ ✡

نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى مازلت فى إصبعيك

قولى مع السلامة

نعم مع السـلامة والحب والـكرامة

* * *

حديثك الممتع لى
من ثغرك المقبَّل
وأنت لى فى منزلى
وشيكةٌ أن تخجلى
من قبلة حَرَّى إلى
لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها
لا . لا . مع السلامة
حتى إلى القيامة

* * *

أما إذا مسرتى (١)
نادتك يا حبيبتى
فاستمعى تحيتى

---

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون

ثم «اسألى عن ليلتى»
ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النغامة
فإن أطلت بعدها
فهذه علامة
قولى مع السلامة قولى مع السلامة

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لاتنوشه
مخالب من وسواسه أو نواجذ (١)
فلا تحسبى أنى خلىٌّ من الهوى
ولا أننى سالٍ هواك فنابذ
ولكننى راض بما تظهرينه
وما أنا فى السر المغيب نافذ
فلست إلى مافات منك براجع
ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

---

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس

هبة لا تنقل

تريدين قلبي؟ خذيه خذيه !... رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيـــه إذا غبت عنى أرى محياك فيـــه ، وحبي فيـه
وسرّ أبوح به خلســـة وإن كنت من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعـد أن تلعبي به يابنيـــة أو تهمليـه
فكم لعبة وقعت من يد يك وقوعا أرى القلب لا يشتهيه
إذا مالعبت به هـــا هنـا فإنى لآمن أن تكسريه
تريدين قلبي ؟ خذيه خـذيه ولكن بربك لا تنقليه

بعض الزراية

بعض الزراية نافـع فى حبهن فـلا تغـال
لولا الزراية لم تطق منهن مشنوء(١) الخصال
ماحبهن من المها نة فى قرارته بخـــال

---

(١) المشنوء : المستقبح

قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره ... فرشفت منه خلاصة الراح
حتى إذا غالبت سكرته ... صفَّقته [١] ، فرددت أقداحى
شكراً . فما أقسى المغبة لو ... أمسى يشاب ولست بالصاحى
قدحان أسلم لى ، وإن فتنت ... عينىّ لمعةُ حسنه الضاحى

لغير البيع !

جواهر الحب قالوا غير زائفة ... مهلا . فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع ... بالسر عارض أحجارى على النار
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه ... إنى قنعت بومض منه غرار
ما للأناسىّ من حب يدوم ولا ... حب يقوم على صدق وإيثار

---

(١) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء.

جزاء التحدى

بُنيّة ماصنعت ؟ جزاك ربى بحب فى مشيبك مثل حبى
لقد غيرتنى حتى لوانى أرى قلبى إذن لجهلت قلبى

* * *

سلينى كيف كنت وكيف صرت وقولى ماصنعت وما صنعتُ
قدرت على الحوادث بعد لأى (١) وهاأنا ذا كأنى ماقدرت

* * *

أخاف وكان لى قلب قرير فها أنا ذا إذا صفر النذير (٢)
أتوق إلى غد لتراك عينى وأرجم من يغار بمن يغير

* * *

وكانت لى سلالم أرتقيها فرادى لا أبالى ما يليها
فعدت مثنياً عجلا كأنى أخو العشرين مرتقياً سنيها

* * *

وكنت من السآمة لاأبالى ... أذمّ الناس أم حمدوا فعالى
فها أنا ذا أسائل ماعساها ستسمع فىّ من قيل وقال

---

(١) اللأى : البطء. (٢) نذير الغارات

وكنت هزئت حتى بالجمال وحتى بالفنون وبالمعالى
فمالى اليوم لا أرضى بحال وكنت الأمس أرضى كلّ حال؟

* * *

أعود إلى الحياة فتلك عندى همـــوم المستعيد المستعد
تحديت الحياة فهل جزتنى بهذا الحب عن ذاك التحدى؟

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصّى عندى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فقدك يازينـــة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
فَبى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثـــلاثين حجة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى !

ومحّضته ماء الشباب فما ارتوى
فهل فى خريف العمر يطمع أن يُروى
رضيت بما أعطى وأحسبه ارتضى
بما أنا معطيه على غير مايهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكا
ووصلا بلا هجر، وهجرا إلى سلوى

زهرة ديسمبر

خل أيّار[1] ونوّارا له ربما أعجب قوما . ربما
خير نوارى الذى أُهديتُه زهر فى شهر كانون[1] نما
عيد ميلادك من بستانه يا ربيعاً فى الشتاء ابتسما
هات يا كانون زهرا كلما سقط الزهر تعالى وسما

(١) أيار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء.

من تقليد « نشيد الأناشيد »

أجـــلْ تلك خباياها وهاتيك خطاياها
فهـل تدرين ماذا ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فيها من العيب سننساه وننســاها
وللحسن الذى فيها سنُحيي الآن ذكراها

* * *

سأحصى لك مايعجب منهـا ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب بعـــد السعى والدس

* * *

ثناياها . ثناياهـا وهـــل ذقت ثناياها ؟
وعيناها ، ويا للقلب ! كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنـة الخمر ية السكران رائيهـا
أفى الجنـة يارضوا ن تفاح يحـاكيها ؟ !

* * *

وتلك القامـة الهيفـا ء زانتهـا زواياهـا
إذا ماجار ردفاها أقام الجـور نهداهـا

* * *

وتلك النسمة الحلو ة فى ثوب الأناسىّ
هى الروح الفراشـ ية فى النور السماوى !

* * *

دعيها تفسد الخمسـ ين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الأكسـ ير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُمياً [1] الشـ عر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنـ يا ربيع دائم باق !

مزيج

ما الحب من محض الصدا قة يابنى ، ولا العداء
الحب فيه الخصلتا ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء !

---

(١) الحميا : سورة الخمر

مسابقة

أغنيتها عن خدعتى زمنا وخدعت نفسى فى محبتها
فبلغت أقصى الظن ممتحنا صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

لا تخلفى !

لاتخلفى وعدى فأكبر لذتى
فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغضّ من إعزازه ودلاله
أنى إذا وعد ازدريت بوعده

أخلفى

إن كان خلفك للوعود تدللا بمكانك الغالى لدىّ فأخلفى
ما كنت أُتبعه القطيعة آنة هو منك واعجبى يطيل تشوّفى

بنت البحر

أبنية البحر التى ضربت لنا بسكندرية موعداً لتلاق
إنى مددت يدى لتلمس شاطئى قدماك لا لتعجلى إغراقى

اكذبينى

اكذبينى مرة أو فاكذبينى مرتين
ألف ألف من أعاجيبك فى غش ومين
لن تبيد الفارق الخا لد ياقرة عينى
والسماوات التى بينك فى اللب وبينى

* * *

اكذبينى واكذبينى كلما شئت اكذبينى
ماغناء اللب عندى إن أبى أن تخدعينى
أنا فى ثروة وفرٍ منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضير ؟ درهما أو درهمين !!

تقويم العام

تقويم هذا العام من ... لحظاته الأولى لديك
قومى ارفعيه وارفعى ... عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعه إلى ... رجعاه موقوف عليك

* * *

وإذا انتهت أيامه ... ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه .. وترحّبين بما تلاه
ويحى إذا دار المدى ... ورعيت وحدى ملتقاه !

* * *

هى قُبلة ضمت عُرى ... عامين فاتصلا اتصالا
ومُنى الخواطر فى غد ... عام كسابقه مآلا
لا نعجلن به فما ... أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فهذا يومنا ... وغدٌ، وبعد غد، خفاء
أنا مغمض عينى ومس ... تمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعت حداءه ... فدعيه يمضى حيث شاء

وعام ثان

بشراى . ماأنا شاهـد ياعام وحـدى ملتقاك
دارت بروجك والهوى يخطـو وتتبعه خطاك
وحمـدت وجهك مقبلا ومضى ، فـلم أذمم قفاك

* * *

هـذى فتاتى هذه ! هى لاخلاف ولا اشتباه
هى فى بديع قـوامها هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتهـا وآ ٍه من غوايتها وآه

* * *

ضُمـى ثُغـيْرك يابنيـة وابعثى منـه الأمل
لابالعهود إلى مـدى عام ، ولكن بالقبل
إن ساعفتنى ليـلة فدعى العهود إلى أجل

* * *

عام تفتَّـح بالرجا ء وبالرُّجاء ختمتِـه
ودعت ذاك العـام فى قربى كما استقبلته
قولى ، وقـد ولّى ، أفى شرع الوفاء قضيتـه ؟

* * *

لا تخدعينى يا بنية بالوفاء من اللسانْ
خنّا وخنت ولا أقو ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معاً والآن نحن الباقيان

* * *

ذهبت خيانتنا كما ذهب الوفاء ومن يفون
لاذمةٌ تبقى ولا يبقى الوفىّ ولا الخؤون
كم ذمة ضيعتَها ياعام فى تلك الغضون !

* * *

انظر ألست ترى فتا تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسة الأمس التى حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت صدرى ولا فارقتها

* * *

وإذا سألتَ وربما جاء السؤال بلا كلام :
« ماذا تقول مودعى والليل يومىء بالسلام »
حيرتنى ياعام فاستمـ ـع الجواب ولا ملام

* * *

ماكنت عندى أيّهذا العام كلك بالسعيد
لكن سويعات مضت لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أعطت ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها وقليلها أبداً كثير
إن عاد يوم غد كأمس فدرْ زمانُ كما تدور

وعام ثالث !

... والثالث الموصول أقـ بل مرحباً بالثالث
رحبت منه بمقبل إقبال لاه عابث
ما كان يكرثنا [1] شقا قا لم يعد بالكارث

---

(١) يهمنا ويشغل بالنا

* * *

رضنا الغرام رياضة الـ ـفرس العصىّ فأذعنا
لا جامحا قلقا ولا تعبا يئن من الونى (١)
أنعم بذلك مركباً بين العواثر لينا

* * *

ما للغرام يسومنا بنعيمه وشقائه
إنا لمغتنمو جهنـ ـمه اغتنام سمائه
لسنا على يده يجو دلنا بمحض سخائه

* * *

ما شبّ من نار طبخ نا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمس نا فيه آلام الجوى
أو زفّ من ريح وهبنا ها الشراع كما استوى

* * *

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهد ت وسادس أوسابع
ما ضاقت الدنيا وفى جنبيك قلب واسع

* * *

(١) الفتور

قلبٌ تفتح بعـــد ما استعصى بباب واحد
أو قُـــلْ تشقق بالجر اح فلم يضق بالوارد
ما حيلة الأعوام فى غير الزمان الفاسد

* * *

ياقلب إنك قـــد أرد ت فأين ويحك ماتريد ؟
عام سعيد ! إى ور بك... قل إذن عام سعيد!
هبك اعتزلت سروره أتراه ينقص أو يزيد ؟

بعد سنة

سنة مرت ولا كل السنين
بين صيف من هوانا وشتاء
وربيع كلما غام أضاء
والضحى والليل حينا بعد حين

* * *

سنة كان لها نجم فريد
غمر الشمس وغطى القمرا
ومشى فى حسنه منتصرا
كلّ برج تحته برج سعيد

* * *

إن يكن لى فى سناه رقباء
فالذى أرصده لم يرصدوه
والذى أنشده لم ينشدوه
والذى هاموا به عندى هباء

* * *

سنة مرت على روض الغرام
أنبتت فيه فنون الشجر
من رياحينَ وغرس مثمر
وسل الأرواح ما أزكى الطعام !

* * *

يومها الأول وافى ودنا
فانس أيامك فى ساعاته
واجمعِ الصافى من لذاته
جرعة ، واطرب عليها زمنا

* * *

جرعة نجمع فيها سكر عام
إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
فى الهوى روحين فى كأس وئام

* * *

هات لى الذكرى وقرّب لى العيان
فهما يا صاحبى بين يدىّ
حضرا الساعة يا صاح لدىّ
ربة الذكرى وذكراها قِران

* * *

هات لى الذكرى أراها وترانى
غضة ملموسة فى راحتىّ
حلوة معسولة فى شفتىّ
جنة تنبت فى كل أوان

* * *

جنتى لاحيـــة تخـرجنى
أبداً منهـا ولا أحيـاؤها
لاولا إبليس أو حواؤها
أنا فيهـا خالد كالزمن

* * *

أنا منها وهى منى فى الضمير
فإذا فارقتهـــا بالنظـــر
لم يفارقهـا ضميرى عمرى
وله العصمة من مس السعير

* * *

سنة كان لهـا نجم فريد
هات منها أيهـا النجم وهات
سنة ثانيـــة بـل سنوات
ولنـا منـك مزيد المستزيد

* * *

أنت يانجم معيـــدُ ماتشاء
لاالسماوات ولا داراتها
غنيـــةٌ عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات وشمس وسماء

* * *

أنت تدنيها سمـــاء زلفا (١)
تنسج الوقت لنـا منفردين
لامشاعا كنسيج النيرين
بل لنـا طوع يدينا وكفى

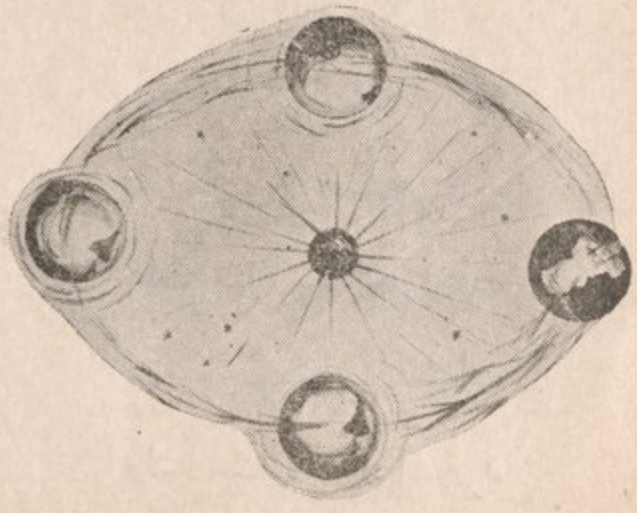

(١) الزلف : التقدم والتقرب

المرأة والخداع

خلّ الملام فليس يثنيها ، ... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طول ذلبات يشقيها
أنت الملوم إذا أردت لها مالم يُرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها

رواية

ماغرنى إقناعها كلا ولا إمتاعها
ماذا تخبئ طفلة رقت ورق قناعها
بل غرنى علم الطبا ع ، وللنفوس طباعها
أو ليس علما بالحيا ة يهون فيه صراعها
إنى أشاهد كيف يف طم فى القلوب رضاعها
أو كيف يسرى فى النفو س الواعيات خداعها

أو كيف ينهض بعد طو ل سباته دفّاعها (١)
أو كيف يومض بعد ما خفت السراج شعاعها
دعنى فتلك رواية شاقت وشاق سماعها
ألمى الوجيزُ رقاعها إن قيل أين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علم ت ، متى يكون وداعها

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا
وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على
مساوئ يُحسبنَ عندى مزايا
لمن أرسلتك ، ومن جملة
لك ، ومن حبُّها كامنٌ فى حشايا
ألست رسولَ الحياة الأمين بأسنى الهبات وأغلى الهدايا
فهاتى الرسالة واستغنمى
ثنائى ، ولا تعجبى من هوايا

---

(١) الدفاع : قوة الموج وكل مدفوع

إذا الرسل أفضت بما عندها
فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو
ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

ماذا استفدت ؟

برئت من غش نفسى ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عين مستيقظاً ماغفوتُ

* * *

برئت من غش نفسى وليتنى ما برئت
ماالعمر محض نهار ! فى العمر للغمض وقت

* * *

ها أنت ياعين يقظى وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عسانى استفدت ؟!

تربصى

إذا احتواك قفصى

سرى الفتور فى جنا حيك وإن لم تنقصى
وغرّد الطـــير وضا عت فى الغناء فرصى
وخفت فى سجنك ألا ترقصى

* * *

وإن ملكتِ الأفقا

حيّرنى رحب الفضا ء مهبطا ومُرتـــقى
وأوشك الصـــدر انفر ط الضيق ألا يخفقا
وطار فى إثرك لبى قلقا

* * *

تربصى . تربصى !

ماحيلتى ؟ مامهر بى ؟ ما مخلصى ؟
الموت قناص الأبا بيل وحلال العصى
يقنصنى ويحك إن لم تقنصى

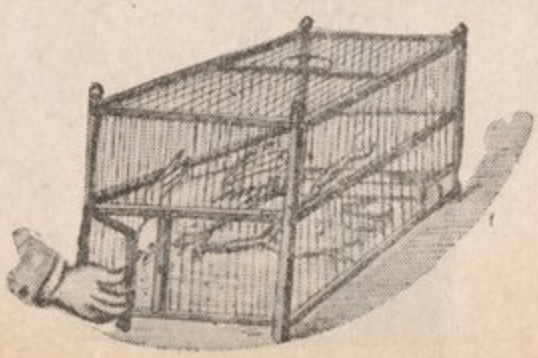

فهمان

لما نفست بما أغا لى فى هواك وأطنب
لم تفهمى منى سوى أن النفائس تُطلَب
وفهمت من نزغات طبـ ـعك ، والطبائع تغلب
أن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !
فرخصت من فرط الغلـــو وخبتُ فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتـــين ، وخلت أنى أكسب

كيف ؟

تحفة من بدائع الله تحمى كنزها كفٌّ طفلة لاتقر
كيف لى بادخاره فى يديها ؟ كيف لى باحتقاره وهو ذخر

مصيبتان

قالوا اسلها ودع البكاء فإنها فى حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء فى الأسى لمن استحق أساه بعضُ عزاء

ندم !

عشقتك مُكذبا خلقى ورأيى وعفتُك صادقاً لهما أمينا
وما أخطأت فى لوميك يوما وقد أخطأت فى عذريك حينا

حلم الأبد

أأهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيـــه من نزوة لاتحد ؟
بنيةُ كونى كما قد خلقتِ فأنت كما شاءك الله أنت
وما شئته أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أحفل بها قبل فتنتى وهيهات يثنى العيبُ نظرةَ مفتون
فيابؤس للعشاق لاعلمهم حمى ولا جهلهم إذ يجهلون بمأمون

مساومة

ماحيلتى إن جهلت حسنها فسلّمت بالبخس للمشترى
لوكنت فى جهلهما بعتها ببعض ماهان على المزدرى
إنى على أغلائها فى الهوى أربح فى الصفقة من منكرى
ليس الذى يقدر ما ناله كمن إذا أُعطِىَ لم يقدر

اللذات والويلات

غداً تنسين لذات بلا عد ولذات
ولا تنسين ويلاتى ولا زجرى وإعناتى
فما فى تيك من حبك بعض الحب فى هاتى
وهيهات الهوى الطاغى من العابث هيهات

عجائب القلب

تلك التى كنت أغليها وأذكرها صبحاً ومُسْيا وفى سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسى من تذكُّرها فاليوم أرحمها من فرط نسيانى
عجائب القلب ، ويلى من عجائبه ! عزت نظائرها فى العالم الفانى

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا !

عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا

بعد مافرّق قطران وجيشان يدينا

فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا [١]

* * *

بعد عصر !

أى عصر ؟

والنوى تجرى وسر الحب فى الأكوان يجرى

ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر

قضى الأمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

* * *

---

(١) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطليان على حدود مصر الغربية فى شهر يونيه سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه فى القصيدة

كم بكيتِ
واشتكيتِ
ثم ألهمتِ على الغيب فأصغينا وقلتِ
قلتِ فى السابع والعاشر من شهر سيأتى
ها هنا سوف ترانى ، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاءٍ كلما دار به الحـــول وأسرى
فى سماء تعبر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كان يوم ، أىّ يوم ، فى صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهـــدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

وتدانى
وكلانا
زائغ الطرف يناجى الأفق قلباً ولساناً
ثم ماذا ؟ ثم كن يابعد لى قربا ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفاً فالتقينا

* * *

كم غرام
وسقام
عرفا الحلف على غير سلام ووئام
فإذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يافتاتى
ياحياتى
لاتراعى بعد هذا من فراق أو فوات
قدر الله كفيل لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

نذر مقبول

أرأيت حين نظرتِ ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لباك ؟ من ذا أجاب مناك ؟
قديسةٌ عطفت على المكنون من نجواك
ووعدتها فوفيت

* * *

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبابتى والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

* * *

بالشمع كم أغريتها أتراك أنت خدعتها ؟
كلا وما أقواك فى خدعة وشباك
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك
شغفتْ به وشغفت

من الأستاذ عماد [1]

يا حزين النفس أُعطيت مناها
فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لاتنغّصها اختباراً واكتناها
إن من خاف من الجن يراها

✡ ✡ ✡

النوى آتية لاشك يوما
وهى من حولكما لم تأل حوما
همها ألا يدوم الصفو دوما
فعلى رسلك لاتعجل خطاها

✡ ✡ ✡

لاتقل ياوردتى شوكك أينا
ماعلينا منه فيها ، ماعلينا ؟
إنها أخفته عنا فانتهينا
حسبنا الوردة رفّت فى نداها

✡ ✡ ✡

---

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد الأستاذ محمود عماد

ليس شكٌّ ، إن للوردة شوكا
وإذا أدنيت كفاً منه شكّا
فاحبك القفاز فى كفيك حبكا
واخلس الوردة واستغرق شذاها

* * *

أنت فى الجنة أُلقيت يقينا
فدع الشك أو استمهله حينا
إنه الشيطان قد أخفى القرونا
إنه الحية فاحذر من أذاها

* * *

لاتسلها يوم تأتى أين كنتِ ؟
فبحسب العين أن الحسن يأتى
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت
ساعة دقت ، وغابت عقرباها

* * *

ساعة دقت فأدت ماعليها
فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ماالذى تطلبه من عقربيها
إن تغيبا خلف ستر قد حماها ؟

* * *

قلت أنساها بأخرى حين تغرى ،
أترى أخراك لاتطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفئ جمرا
اللظى من غيرها مثل لظاها !

* * *

إنها منك دنت فلتدن منها
وإذا خانتك من بعد فخنها
أو فجرّب هل تطيق الصبر عنها ؟
لا . وشمس الحسن فيها ، وضحاها !

* * *

غصتَ فى اللجة حتى أذنيكا
وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تترى عليكا
رحمة إن شاءها الحسن قضاها

* * *

وإذا شاء فلا رحمة تقضى
ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبتغى من تحت هذى الأرض أرضا
لا . فدنيا الحب لادنيا سواها

محمود عماد

إلى الأستاذ عماد

ياصديق النفس من عهـــد صباها
نصحك الصادق لوتُشفى ، شفـاها
محنـــةٌ تبلـــغ فى يوم مداها
ماترانى صانعـــاً ، أو ماتراها ؟

* * *

ناصحى أنت بزهـــرى أنتشيه
لاأبالى الشـــوك والغصة فيـــه
كل شوك ياصديقى أتقيـــه
يخرق الدرع وإن دقت عراها

* * *

وردتى ياصـاحبى فى الورد بدع !
بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعهـا كالفـخ ينهـــاك ويدعو
وبـــلاء النفس فى مسّ جناها

* * *

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا
الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا ؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا ؟
الجنى ، ياويحها ، أشهى أذاها !

* * *

وردتى آفتها فرط التحدى
جاوزت فى كل شىء كلّ حد
حسنها هيهات منه حسن ورد
شوكها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام
وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العين بوشى ونظام
وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئى وآه من سقامى .
آه من صلحى ، وآه من خصامى

آه من شمسى، وآه من ظـــلامى
آه من لذعـــة آه فى جواها

* * *

لذعة النيران ينفثن دخانا
ليضىء اللهب الخـــافى عيانا
لهباً صرفا تعـــالى وتدانى
من قـــرار النفس يرتاد ذراها

* * *

آه من آهٍ لحـــاها الله جـــداً
لاتزل خالدة فى النـــار خلدا
من قـــلوب تلتظى حباً وحقدا
حرقت آهاتهـــا آهـا فآها

* * *

أنا لاأطلقهـــا حـــتى تذوبا
فى لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأرانى ياصـــديقى لن أتوبا
فإذا تابت عـــرفنا منتهـــاها

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءٌ فيها ، ولكنه فضاء!
حمرة خديك لاحياء ، فيها ، ولكنه اشتهاء!
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء!
يا حيرة القلب فى هواه ! ياغاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جلاه ولوّث النفس بالطلاء!

* * *

حبك لا نعمة أراها فيه ، ولكنه جزاء
من فى الصباجرتُ فى هواها ! من تلك مقبولة الدعاء ؟
أنت عقابى فهل كفاها برح شقائى أولا اكتفاء ؟!
ياجنة حسنها عقاب ياخمرة عذبها عذاب
متى متى ينطوى الكتاب ؟ متى فراقٌ بلا لقاء!

بنيته

بنيتـه ، والعزم صخرى المتـــين
ومِعولى حـــدُّ العذاب السنين
اسمعْ . ألا تسمع هـــذا الرنين
هـــذا فتات القلب . هـذا أنين
فى كل ركن قطعـة من وتين (١)

* * *

بنيتـه فى حفرة من شقـاء
والدمُ والدمع عليـــه طلاء
هنـاك ، فى زاويةٍ ، فى الخفـاء
تم بحمـــد الله ، تم البنـاء !
ماذا بقى ؟ لم يبق إلا الدفين !

* * *

---

(١) عرق فى القلب

بنيتـه . ياحســـنه ! ياسنـاه !

بنيتـه : قـــبر الهوى فى صبـاه

قبر الهوى الغالى وواحسرتاه !

قـــبر الهوى الذاهب فى منتهـاه

هل بعد « خمسين » هوى ياحزين ؟

* * *

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمـل

هاتوه أدمى جســـمه بالقبـل

أدميـــه ؟ لا . لا دم بعد الأجل

جفّ وما جفت عليـــه المقـل

هاتوه أحييه بذكرى السنين

* * *

دفنته ، ويحـك ! هـل تستـريح ؟

ياخارب القلب عمرت الضريح !

ذاك الثرى المنهـال . ذاك الصفيح

ياليته ركـن الخراب الفسـيح

أو ليتك السـاعة فيه الدفين

* * *

آه من الحيرة آهٍ وآه

أنافعٌ قلبي ، رجعى هواه ؟

ولو خلا القبر . أهذا مناه ؟...

لو أقفر الساعة مما حواه

خلت من الحيرة أنى الغبين

هنت والله

هوّنتِ خطبك جدا وخلته لن يهونا
حمداً لكيدك حمدا ... حمداً يفيض العيونا
بدّلت بالنار بردا وبالهيام سكونا
إنى أمنت الفتونا
وأنت ماذا أمنت ؟
قد هنت والله هنت !

* * *

كم دار فى الكون رأسى حيران يطوى بقاعه
شكى يسائل حدسى أين اختفت منذ ساعه ؟
سفينتى اليوم ترسى والركب يطوى شراعه
غيبى بغير شفاعة
ما أنت ويحك أنت
قد هنت والله هنت

* * *

لو قيل « بنت الهواء » صدّقتهم فى المقال
ورثته فى السخاء وفى شيوع النوال
لو كان فيك بقائى لم تخطرى لى ببال
من بالهواء يبالى
كونى إذن حيث كنت
قد هنت والله هنت

* * *

خذى عشيقين مثلى لا بل خذى الناس طرا
يلقاك هذا بليل وذاك يلقاك ظهرا
إن تخدعى رب نبل يخدعك نذلان مكرا
وتشربى الجام مرا
حتى يقال جننت
قد هنت والله هنت

* * *

يافرحة القلب لمـــا رخصت بعـــد غلاء
خسرى بذلك تمـــا وتمّ منـــك نجائى
ولو حسبتك غنما لطال فيك شقائى

وغص قلبى بدائى
لكن رحمت فخنت
وهنت والله هنت

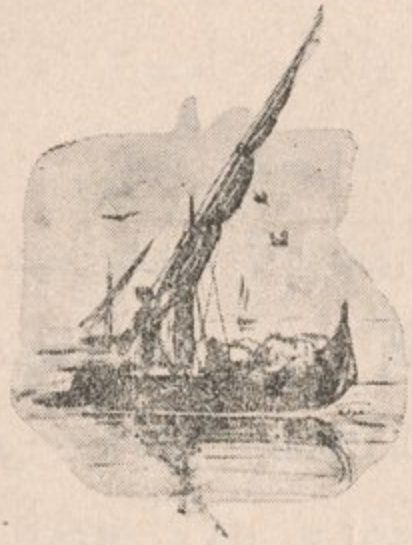

فراغ . فراغ

فراغ بارد شـــات بلا ماض ولا آت
أأموات؟ نعم لكن نحس فنـــاء أمـوات
ويا بؤس الفناء نحســـه فى كل ميقـــات

فى مصر

LIBRARY

غيث الصحراء

ألقيت هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة الملك « فاروق الأول » فى رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب

ياحادى البشرى دنا السفر ... ناد القبائل حيثما انتشروا
فاروق فى البيداء يصحبها ... تيهوا بنى البيداء وافتخروا
رفع الخيام على السحاب فلا ... أسسٌ تطاولها ولا جدر

* * *

فى طالع الأيام مرتقب ... ولسابغ الأنعام مدّخر
كالغيث لولا سبق أنعمه ... والغيث يلحق بعده الثمر
كالنيل لولا أن موسمه ... فى كل يوم حاضر نضر
صلح الزمان لكم بمقدمه ... وازدانت الآصال[1] والبكر
فاستبشروا بالخصب أجمعه ... لا جدب حيث النيل والمطر

* * *

---

(١) جمع أصيل وهو قبيل وقت الغروب

أحببتموه على السماع كما ... شاء الولاء ، وشاعت السير
وتشوّف الوادى لرؤيتـــه ... وتساءل الركبان ، وانتظروا
وتجاوبت فيكم مدائحه ... نظماً رواه البدو والحضر
والعرب أصدق ماسمعت إذا ... غنوا على البيداء أو شعروا
فالآن فاكتحلوا بطلعته ... وتيمنوا باليمـــن وابتدروا
مـــلكٌ تعالى الله بارئه ... سيان فيه السمع والبصر
لم يختلف قول ولا عمـــل ... منـه ، ولا خبر ولا خبر

* * *

ملك تعـــالى الله بارئه ... بالخـــير يأمرنا ويأتمر
مستعصمٌ بالله معـــتزم ... مستمسك بالحـــق مقتدر
سبق الشبـابُ به مراحلنا ... وأعانه الإلهـــام والنظر
وتفيّأت بـــلوائه عُصب ... وتألفت بفنـــائه زمر
نعم الأمامة للشباب فلا ... يأس ولا نكس ولا حذر
جيلٌ لزين الجيـــل أسلمه ... رب الكنانة ، فهو منتصر
العزم والشورى إذا اجتمعا ... فهما قضاء الله والقـــدر

* * *

يلمؤمنـــاً بالله مهتـــديا ... بك مسجد « العوّام » مشتهر
يانسج وحـدك فى مآثره ... بيديك زين القطن والوبر

يا جاعل الملح الأجاج روى[1] بيديك طاب الملح والصبر
يا شافى المرضى وكافلهم عيسى على كفيك مستتر
يا حصن مصر ويا دعامتها أقوى الدفاع مراسك العسر
يا شاهد التاريخ فى أثر العين أنت ، وما مضى أثر
ما كان منسيا فشهرته بك بعد هذا اليوم تنتشر

* * *

إنى إلى الصحراء ملتفت وعلى فم الصحراء منتظر
أصغى فأسمع فى جوانبها هزجا يشيع بها ، وينحصر
آلاء فاروق يرددها نفر ، وينصت حولها نفر
تنمو وتزهر حيث لاشجر ينمو ، وحيث نمابها الشجر
يهفو النزيل لها وينشدها سارون فوق جمالهم سهروا
قوم سماء الله فوقهم وملوكهم لسمائهم صور
إن يذكروا بالحمد راعيهم فهم الرعاة ، وهكذا فطروا
هم فى صراحه أرضهم نشأوا وعلى هدى لألائها ظهروا
بُلغاء ماعرفوا السطور على غير الرمال ، وعاش ماسطروا

---

(١) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعاقل والمساجد ومعامل النسج التى افتتحها جلالته فى هذه الرحلة والآثار التى زارها

حرمتهم الأيام فاصطبروا ومتى أصابوا نعمة شكروا
فاروق قبلتهم إذا رحلوا وإليه موئلهم إذا حضروا
يامُلبساً أجسادهم حللا شرّفت أنفسهم بما ادثروا

* * *

الملك والآفاق والقمر والبحر والبيداء والذكر
أمدٌ تفوت العينَ غايته وتموج فى أنحائه الفكر
هى رحلة طالت مفاخرها ويعد فى أيامها قصر
لوفُرّقت فى الدهر لاتسعت لشعابها الأحقاب والعصر
فى ساحة الفاروق يملأها ذخر الحياة ، ويحجم الخطر
تنقاد طائرة وسابحة ويطيب منها الورد والصدر(١)

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالى زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والاسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨)

الروح فى وادى الكنانة حائم
وجلال شخصك فى النواظر قائم
ماغاب منك سوى مثال عارض
يمضى ، ويخلفه المثال الدائم
ملكُ البلاد المستقل وشعبها
فى محفليك مساهم ومساهم
أملٌ لعمرك لم تطاوله المنى
شرفاً ، وحلم مارآه الحالم
تُزهى به مصر ويزهى الشرق من
كثب ، ويعجب من صداه العالم

* * *

فاروق مولده ومولد نهضة
تنمى إليك ، كلاهما متلازم

فإذا أظلك عرشه وجلاله

فالعدل قسمته ، ونعم القاسم

شيم من الخطاب جمّع شملها

العادل الفطن الكريم الحازم

مَن غير فاروق يصوّر أمةً

أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم

من غير فاروق يبارك نهضة

منه الرجاء لها ومنه العاصم

من غير فاروق يقلد رتبةً

والصولجان بكفه والخاتم

من غير فاروق يجل رعية

حوليه سابقُ مجدها والقادم

من غير فاروق تنصّ يمينه

علما للاستقلال فيه علائم

حياك أو أحيا رجاءك عاهل

عهدُ البلاد به جديد باسم

ملك كما ترجو لمصر مصدّق

بشراك ، مرتسم لما هو راسم

غمر البلاد بحبه وولائه
فولاؤه فرضٌ عليها لازم
ركنان للوطنية المثلى هما
عرشٌ ، وشعب حوله يتزاحم
فاهنأ بما بُلّغت من حبيهما
واغنم ولاءهما فأنت الغانم

* * *

تمثالَ سعد فى الجزيرة ساهراً
هيهات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لايغيب هنيهة
عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأن لربك فى الحياة حكيته
فالظل للغصن الوريف موائم
كم صام سعد عن مناهل حوضه
ويعبّ مغتصب وينهل غاشم
كم بات يرعاه ، وليس بمرتع
من خيره مايرتعيه الحاكم

كم غاب عنه ولم يغب عن همه
والبحر دون طريقه متلاطم
بك زادت الأهرام ركناً والتقت
منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها
فى الجيزة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا
يعيى بنقض بنائهن الهادم
اليوم آن لجانبى تاريخها
ألا يظلهما دخيل داهم
فى الضفة الأخرى بقية عسكر
قاومتهم جهد المطيق وقاوموا
مصرٌ تضيق ، على اتساع رحابها
بكما فأيكما المقيم القائم ؟
لم تستقر على دعامك آخراً
إلا لأنك بانتصارك جازم
والنصر ردك للعدو مواليا
لاأنت راغمه ولا هو راغم

سـعد على النيل الوفى ومثـله
سـعد عـلى البحر القوى متـاخم
ما أعجب الصـنوين للفـرد الذى
أعي بصـنويه المـدى المتقـادم
أمجاورَ الميناء إنك لم تزل
ميناء مصرٍ ، والخطوب خضارم
متمكنا من حيث يقبـل قادم
كرمت وفادته ، ويمنع قاحم
نعم اختيـار الموقفـين لحارس
وطناً يحارب دونه ويسالم

* * *

ياسعد هلا من لسانك قولة
يروى بهـا هـذا الزحام الهـائم ؟
يمناك تومئ بالـكلام فأين من
إيمائهـا الصـوت القوى النـاغم ؟
عجبي لشيء فيـه منـك ملاحم
أن ليس يُسمع منه قول حاسم !

عجبي لشيء فيه منك ملاح
أن ليس يخفق فيه قلب عالم!

أخذ الحديد الصلب منه عزيمة
والصخر بأساً يتقيه الصادم

وتشابهت ثم الأساريرُ التي
قد شابهتك بمثلهن ضياغم

وتحجبت تلك الأفانين التي
ضاق الصنّاع بها وعيّ الراسم

إن لم تصورها اليدان فربما
خفيت فصورها الضمير الراقم

إن لا تحدّثنا فكلّ محدّث
من فيض روحك ناثر أو ناظم

أو لا يكن لفظ فدون الوحي من
معناك — كلّ اللافظين أعاجم

الناس حولك سامع أو ذاكر
ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم .

* * *

قف فوق منبرك الجديد فلم يزل
لك منبر عالى الذرى وقوائم
يصغى إليه العابرون فيقتدى
داع إلى الحسنى ويخجل آئم
هـــــذا المثال الحىّ إما حامد
للعاملين غـــــداً ، وإما لائم
هذا المثال الحىّ إما شاحذ
منا عزائمنـــــا ، وإما راحم
هذا المثال مؤيد من ثابروا
مزر بمن قصروا الخطى وتناوموا
خصم لكل مخالف آراءه
وفعاله ، وهو القوىّ الخاصم
جدد لهاتيك الرءوس حياتها ،
بعض الرءوس وإن حيين جماجم

* * *

ما كان تمثالا يماط ستاره
بل منسكا للحج فيه محارم

بل تلك جامعه يؤمّ دروسها
متعلم سـنن الحياة وعالم
تلك الرياح مجاذبات غطائه
رسل من العرش العلىّ حوائم (١)
فاروق أو مزجى الرياح كلاهما
للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
والغيب يلهمه المليك إذا اتقى
ويفض من فحواه ماهو كاتم

* * *

يا أسبق الأعلام ربك سابق
فى حيثما استبقت بمصر عظائم
ما قام للفلاح قبـل مثاله
علم ، ولا دعيت إليه معالم
صعدوا على أكتافه وتسنموا
أوج المنابر وهو جاث جاثم

---

(١) قبل رفع الستار بأيام جذبته الريح فانكشف فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير الاحتفال برفع الستار

فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه
حتى كأنك أنت فيهم آدم
شرفاً ، أبا الفلاح مااستفتحت من
همم ، وما استتلى بعزمك عازم
لك لا تزال ولن تزال رسالةٌ
ما للعظائم إن بدأن خواتم

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر (١) ثناءٌ على الرجل القادر
على رجل زاهـــد فى الثنا ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله فيقبل فى جحفل زاخر
ومن كلُّ أيامه صالحا ت لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائحه الصادقا ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثـــل أرقامه حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غـــد كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه فى مواعيـــده كصفحة عنوانه الظاهر
له شـــدة الحق فى بأسه تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو ض إقدام مستبسل صابر

---

(١) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩)

إذا ما اطمأن إلى واجب فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكم يومكم وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا بها نهج مبتكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا مدى الحمد من وطن قادر
لكم من بنيه ومن عرشه معاونة العارف العاذر

عيد الجهاد

«١٣ نوفمبر ١٩٤٠»

حييتَ ياعيد الجهاد حييت يايوم المعاد
يا يوم مصر وما لها من ناصرين، ولا عتاد
عزلاء إلا من سلا حيها: الرجاء والاتحاد
بهما تصد الظافر ين ولاتصد ولا تصاد
وتقود أشتات الصعا ب ولا يلين لها قياد
وتعاند الأسد الهصو ر ولا يطاق له عناد
تلقاه يوم تزلزلت من بأسه السبع الشداد
والأرض بين يديه طيّ عة الأعنة والوهاد

* * *

حييت يايوم الجهـا د ولاسؤال بم الجهاد ؟
كلا . ولا من قائل أين الجحافل والجياد ؟
جمعت بلادٌ أمرها وكفى بمـا جمعت بلاد
وأراد سـعد فانبرى وطنٌ يحقق ما أراد
ما السيف فى اليد غالباً إلا إذا غلب الفؤاد

* * *

حييت يايوم الجهـاد يوم الجهود والاجتهاد
يوم الكـرامة والجلا د بل ، السلامة والسداد
كم عاقل فى الاقتحا م وجاهل فى الارتداد
ومحصّـــل فيما أضا ع ، مُضيع فيما استفاد

* * *

وطنى سلمت من الغوا ة ولاسلمت من الرشاد
ما فى الجهـاد غواية إن الغواية فى الرقاد
وطنى خذلت الخادء ين ولاخذلت ذوى اعتقاد
ما فى الصعاب خديعة إن الخديعـة فى المهـاد
وطنى تبينت المصا رح والمداجى فى الوداد
ما فى اللهيب خبيثـة إن الخبيثة فى الرماد

وطنى فررت من الهوا ن ولا فررت من الجلاد
ماكل خطب يتقى أو كل أمن يستزاد
وطنى . وما وطنى علىّ بهين بين البلاد
ياليته مما يهو ن فأستريح «على الحياد» !

* * *

حاشا لمصر ولى وللسا دات فيها والسواد
إنى نذرت لها دمى ومُنى يضن بها الجواد
وشرعت فى ميدانها قلمى وإن نفد المداد
وعلمت أن لها غداً يرجى ، وأمس يستعاد

* * *

شبان مصر تزودوا لغد ، وبعد غد ، بزاد
أنتم حماة عرينها ولكم معاقلها تشاد
إن ذاد غيركم العدا فرداً فلا كان الذياد
أوسدتم فى أمة ذلت ففرحتها حداد
من ذا يسود وحوله وطن على ضيم يساد
لا يخجلن غد إذا ما حل من عيد الجهاد

إلى مهرجان السودان

ياجيرة المورد فى الوادى كونوا هناكم مورد الصادى
صادٍ إلى الماء وصادٍ إلى علم لمن يطلبه هاد
هاد كما قد أسفرت شمسكم بساطع فى الجو وقّاد
لولا معاذيرى لحياكم منى مطيفٌ رائح غاد
فإن أكن أوفدت شعرى لكم فذاك عندى خير إيفاد
إلى اللقاء المرتجى فى غد تحيتى للحفل والنادى (١)

(١) هذه الأبيات هى تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذى يقيمه أدباء السودان مرة فى كل عام

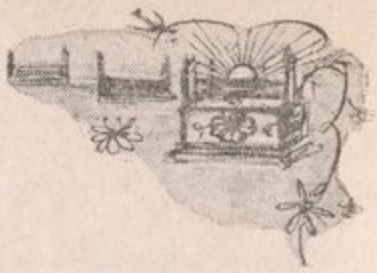

فی عالم الذکریٰ

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ثلاث عشرة حجة[١]

مرّت بنا الأيام وثبا ... سلماً كما شاءت وحربا
لاأحسنت حربا ، ولا ... فى السلم طاب السلم غبا
ضمنت لجيشيها معاً ... غصبا كما اشتهيا وغلبا
فإذا الحوادث أقبلت ... أو أدبرت فالخلق نهبى
العام من أعوامنا ... يحوى — جزاه الله — حقبا
وثلاث عشرة حجة ... قلبت طباق الأرض قلبا
سلها عن الدنيا وما ... صنعت بها شرقا وغربا
سلها عن الوادى وما ... صنعت به دفعاً وجذبا
لاضير بالماضى إذا ... دار الزمان فطاب عقبى

* * *

فألا من الذكرى وكم ... فأل طوى فى الغيب حجبا
وهداية منها وقد ... تهديك فى الظلماء قطبا[٢]

* * *

ياسعد يومك فاستجب ... قلباً لمن يدعوك قلبا
جرّد عزيمتك التى ... أغنت عن الصمصام غربا[٣]

---

(١) ألقيت من محطة الاذاعة المصرية فى ذكرى وفاة « سعد » سنة ١٩٤٠

(٢) إشارة الى نجم القطب الذى يهدى فى الظلام (٣) حدا

وابعث نصيحتك التى أغنت عن الترياق طبا
وانشر فرائدك التى أغنت عن العقيان كسبا
هذا نذير الشر هبا وإلى حمى مصر اشرأبا
وسرت إلى إفريقيا عدوى الجهالة من أوربا
طمعوا بحوزة أمة ظنوا لها الغفلات دأبا
إن قيل لاخطرٌ غفت عيناً وتاهت عنه لبا
أو قيل لاطمعٌ فلا طمع وقرّت مصر سربا
أو قيل ياأمم انهضى نهضت وراحت مصر تأبى
تجرى المخاوف حولها وتخاله الأمن استتبا

* * *

ياسعد أنت إمامها فاهتف بها ملأً وشعبا
صدع الشقاق صفوفها وجمعتها بالأمس حزباً
فاجمع جوانب رأيها شعباً على الحسنى فشعبا
قل أنتمو أعلى يداً من عابدى الإنسان رهبى
ذلوا فلما استرسلوا تاهوا بقيد الذل عجبا
وإذا أتوا عدد الحصى فرمالكم أوفى وأربى
جدب من الصحراء أغلى من جميم الروض تربا
ظمآن يشرب كل من يغرى بكم أكلا وشربا

* * *

وقل استعدوا واسلكوا في مفرق الحدّين دربا
لاتُصغروا هولا ولا تستكبروا الأهوال رعبا
وتبينوا أين الفريق الحر فاتخذوه صحبا
دارُ الذين سبتهم حرية — هيهات تسبى
ضنوا بمصر على العدى وعلى الذى يحتال خبا
وحذار دعوى معشر لم يؤمنوا بالحق ربا
لارحمة عرفوا ولا عرفوا لغير الشر حبا
القدوة العليا لهم وحش على العدوان شبا
عقدوا على البغى العرى تبت يد الباغى وتبا

* * *

يا آل مصر تذكروا سعداً ففى التذكار قربى
إنى استعرت بيانه فعلىّ إن قصرت عتبى (١)
إلا اللباب فإننى فى الرأى ماأخطأت لبا
سعد إذا أمضى مضى وإذا دعاه الهول لبى

---

(١) معنى البيتين أنى استعرت بيان سعد فان قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب على . أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأننى لم أخطئه

تحية زعيم راحل [١]

أكبرت فى غيب الزعيم محمد ... من كان يكبر حاضراً فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم ... يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص الزمان مجادة ... للسيد بن السيد بن السيد
فخر الصعيد، وفخر مصر جميعها ... بالرأى، والخلق القويم الأيد
من يرسل المثنى عليه ثناءه ... مسترسلا فى القول غير مقيد
جمع القلوب على المديح وإن مضت ... نهجين بين مصوّب ومصعّد
لم تُقض فى هذى الديار قضية ... ومحمدٌ مما قضوه بمبعد
ملء الندى وإن تطامن دفة ... كم دقة شحذت مضاء مهنّد

* * *

فى دارة الفلكى قبلة كوكب ... يعلو على رصد المنايا الرصّد
تطوى المغارب جرمه، وشعاعه ... متألق فى أوجه لم يخمد
أكبرت مطلعه، ولم يك طالعى ... فى كل حين عنده بالأسعد
ورأيته أقصى وأقرب رؤية ... فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف ... سمت السماء ولا علو المقصد

---

(١) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الاربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

متحرّز مما يعاب كأنه متقيّد المسعى ، ولم يتقيد
شفّت سرائره ، فكل سريرة فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته لم تلق يوماً منه مالم تعهد

* * *

عَزّ الكنانة فيه فهى جميعة تبلو الكنانة فى الضمير وفى اليد
مافى مروءات الشعوب مروءة إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون مالم يشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سرداً ، فعدد مابدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للمهتدين ، وقدوة المقتدى
وصراحة الأخلاق ماالشتملت على مستغلق فيها ، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها كالشاهق المخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحا منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لاتكره الشورى وإن كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ماستفردت كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عز الكنانة والعزاء ليعرب مابين مُتْهم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد والشمل بين مشرّد ومبدد

للحق ، لاالخبيثة مطوية تلقى العداة الرابضين بموعد
ولنصرة الإسلام لالعصابة تسعى إلى الإسلام سعى المفسد
سمح على مافيه من عصبية سهل ، وإن أعيى قوى المتشدد
لايستطاع على الخصام عناده وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد ، ولو نماه معشر للأزهر المعمور لم تستبعد
فيه محافظة ، وفيه طرافة وأراه فى الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابراً عن كابر والأريحية منجدا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما سقياه من أصليه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

رحم الإله محمـــداً وأثابه فى خلده الباقى ثواب مخلد
كان السبيل السرمدىّ سبيله فعليه رضوان الإله السرمد

على قبر إبراهيم (١)

« ... إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لايسر مايقال فى هذا الموقف الأليم ... » :

يا قبر إبراهيم مالى بالبيان هنا يدان
بل فيك تنطلق العيو ن وفيك ينعقد اللسان
ما كنت أحسب أننى ألقاك فى هذا المكان
يامن حملتَ إليه أكر م مايعز ، وما يصان
جثمانك العف الطهو ر وقلبك الجم الحنان
وجبينك السمح الذى ماهان قط ، ولا أهان
وعزيمـــةً لم يثنها غير الأمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل ليس يمحوه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى وجميل صنعك فى الجنان
ماذا أقول ؟ ومن يعيـــن على رثائك ، أو يعان
أغناك فضلك ناطقاً بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطراً وسلام قومك بجمعان

---

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان رحمه الله مثلا لعلو الهمة ومكارم الأخلاق

آه من التراب [١]

أين فى المحفل «مىّ» ياصحاب ؟
عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشُها المنبر مرفوع الجناب
مستجيبٌ حين يدعى مستجاب
أين فى المحفل «مىّ» ياصحاب ؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط الندىّ
أين مى ؟ هل علمتم أين مى ؟
الحديث الحلو واللحن الشجى
والجبين الحرّ والوجه السنى
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

* * *

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها ، وهى خضراء ، السنون
كلّ ما ضمته منهن المنون
غصصٌ ما هان منها لا يهون
وجراحات ، ويأس ، وعذاب

* * *

شيمٌ غرّ رضيّات عذاب
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاءٌ ألمعى كالشهاب
وجمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب. آه من هذا التراب

* * *

كل هذا خالدٌ فى صفحات
عطرات فى رباها مثمرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حسن نشتهيه
متعة الألباب والأرواح فيه
سائغ مُيّز من كل شبيه
لم يزل يحسبه من يجتنيه
مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقاليم التى تنميه شتى
كل نبت يانع ينجب نبتا
من لغات طوّفت فى الأرض حتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يالذاك اللب من ثروة خصب
نيّر يقبس من حس وقلب
بين مرعى من ذوى الألباب رحب
وغنى فيه وجود مستحَب
كلما جاد ازدهى حسناً وطاب

* * *

طلعه الناضر من شعر ونثر
كرحيق النحل فى مطلع فجر
قابل النورَ على شاطئ نهر
فله فى العين سحر أى سحر
وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حىّ «ميآ» إن من شيع ميا
منصفاً حيا اللسان العربيا
وجزى حواء حقا سرمديا
وجزى ميًّا جزاء أريحيا
للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا
والذى لاقت مصابا فمصابا
من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعد فقد الأبوين
سلمت فى الدهر من شجو وبين
وأسى يظلمها ظلم الحسين
ينطوى فى الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعد صمت وإباء
سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كلّ ما فيه رياء
وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحمة الله على «مىّ» خصالا
رحمة الله على «مىّ» فعالا
رحمة الله على «مىّ» جمالا
رحمة الله على «مىّ» سجالا
كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعة مازلت أراها
غضةً تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءت فى سناها
وفروع تتهادى فى دجاها
ثم شاب الفرع والأصل، وغاب

✡ ✡ ✡

غاب والزهرة تؤتى الثمرات
ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات
بعثرتهن الرياح العاصفات
ورمتهن تراباً فى خراب

✡ ✡ ✡

ردّ ما عندك يا هذا التراب
كل لب عبقرى أو شباب
فى طواياك اغتصاب وانتهاب
خُلقا للشمس أو شم القباب
خلقا لا لانزواء واحتجاب

✡ ✡ ✡

ويك ! ما أنت برادّ ما لديك
أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد « مىّ » غير موكول إليك
مجد « مىّ » خالص من قبضتيك
ولها من فضلها ألف ثواب

عام محمد (١)

جدد العهد بعد عام محمدْ
تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلقٌ لايزال قدوة جيل
بعد جيل ، أخلق به أن يخلد
بل طراز من المكارم باق
كلما عده الكرام تعدد
ومعان غراء هيهات تحصى
كثمار الفردوس هيهات تنفد

(١) ألقيت فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله

إنما يُذهب الزمان فقيداً
إن تقضى الزمان لم يُتفقّد
ليس يُفنى الزمان من كلما عس
عس ليل سمعت : أين محمد ؟
أين من كان رحمةً وهو بأس
أين من كان أمة وهو مفرد
أين من كان للمساكين عونا
وله فى ذؤابة المجد مسند
أين من كان منية المتمنى
فى مغيب من الوداد ومشهد
أين من عُوّد الإباء صبيا
ولكل من دهره ماتعود
أين من كلما تقلد أمراً
صان فى جيده عرى ماتقلد
أين من كان مرجع القوم فيما
صدع العزم أيديا فتبدد
أين من كان قولهم فيه شتى
والطوايا فى وصفه تتوحد

أين من كان قائداً وهو فيما
تتقيه جندى مصر المجند

سألوا أين أين ؟ وهو قريب
منهم فى جواره غير مبعد

هو فى كل معهد يتراءى
هو فى كل مسمع يتردد

هو فيهم وقد تغيب عاما
لا يُرى قاصداً ، وإن كان يُقصد

رب دان مجسد لا تراه
وبعيد تراه غير مجسد

✡ ✡ ✡

مصر يا أمة الخلود المشيد
والوفاء الذى رسا وتوطد

أنت فى نعمة وخير عميم
ما تعهدت خير ما يُتعهد

لك فى الذكريات كنز رجاء
أبد الدهر بابه ليس يوصد

فاذكرى الغابرين وادخريهم
لغرار ينضى وعزم يشدد

إنهم مهـــدوا الطريق ولولا
خطوهم فيـه لم يكن بالممهد
اذكرى كلما بلغت زهيدا
من أمانيك أنه كان أزهـــد
واذكرى كلما بلغت عظـــيما
إن جهد المصرى فى المجد أجهد
إن ماضاء كان بالأمس ظلما
ء وما ابيض كان بالأمس أسود
والذى فى يديك كان سرابا
زمناً ثم صار يُجنى ويحصـــد
وارقبي العالم المطـــل علينا
من غد . إنه جنين ســـيولد
الحروب التى تضـــج وغاها
هى نجـوى مخاضـــة تتصعد
إننـا فى يديه لعبـة لاه
إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
مامضى من زماننا أو سيأتى
فى يدى ذلك الجنين سيحشد

الجنين الموعود لاتجهلوه
يابنى مصر فهو للجهل مُرصد
هوحى ، إن لم يكن قد تسمّى
باسمه فى قرابه فكأن قد
فاجمعوا عدة من الأمس ترضى
واجمعوا عدة من الغد تحمد
أنتم فى كنانة الله أهل
إن تصدوا السهام وهى تسدد
ولكم من صيانة الله شروى
ماتصونون من نفار وسؤدد
كل حق لكم فغير مضاع
مارعيتم حقاً لمثل محمد

الشهيد معاوية

... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصباً من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوّض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ
فيالك من ذكرى على النفس قاسية

أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه
ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية

فما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى
أصائله فيها ، وأشقى لياليه

وما أضيع الآمال آمال من رأوا
مطالعه فى مشرق النور عالية

ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا
على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

بكائى عليه من فؤاد مفجّع
ومن مقلة ما شوهدت قط باكية

بكائى على ذاك الشباب الذى ذوى
وأغصانه تختال فى الروض نامية

بكائى على ما أثمرت وهى غضة
وما وعدتنا، وهى فى الغيب ماضية

فضائل منها نخبة أزهرت لنا
لماماً، وأخرى لم تزل فيه خافية

* * *

تبينت فيه الخلد يوم رأيته
وما بان لى أن المنية آتية

وما بان لى أنى أطالع سيرة
خواتيمها من بدئها جدّ دانية

وأن اسمه الموعود فى كل مقول
سيسمعه الناعون من فم ناعية

أجل هذه ذكراه يانفس فاذكرى
فجيعتنا فيه ، وما أنت ناسية

أجل هذه ذكراه ياعين فاذرفى
عليه شآبيب [١] المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجيهم
فيا طول حزن النفس والنفس راجية
وياطول حزن النفس وهى منيبة
إلى اليأس من عجز بها ، وهى آبية
فيا يوم ذكراه سنلقاك كلما
رجعت إلينا ، والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضنوا بذكره
ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكار ماضنّ دهره
به عيشةً فى مقبل العمر راضية
وزيدوا النفيس النزر من ثمراته
بتكرارها فى القلب أولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كثراً فباركوا
معانيها حباً ، ووفّوا معانيه
عليه سلامٌ لا يزال يعيده
ويبديه شاد فى الديار وشادية

(١) جمع شؤبوب وهو دفعة المطر

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر [١]
ويح البيان على المبين الساحر
البـــاحث المنطيق فى تاريخـــه ،
الملبس المـــاضى لبـاس الحاضر
النـــاقد الأنباء نقـــد صيارف ،
الوازن الآراء وزن جواهـــر
المستعين على الســـياسة بالحجى
والعـــلم ، والقلم القوى القـاهر
والحجة العليـــا التى ماطأطأت
يوما لمنتقـــم ولا لمنـــاظر
الدارس الأيام درس مجـــرب
يلقـاه باطن سرها كالظاهر
الصـابر المزجى الخطوب بصبره
حتى يزلن ، ونعم أجر الصابر

---

(١) هو فقيد الكتابة والصحافة المرحوم عبد القادر حمزة باشا صاحب « البلاغ »

الباذل الدنيا على عـــلم بهـا
فى اليسر والإعسار ، بذل مسافر
المستعز بوحدة الأســـد الذى
يأبى التجمع فى القطيع النـــافر
الراســـخ الجم الوقار ، بغير ما
عنت يصيب مـــلالة من زائر
الصامت النزر الكلام بغير ما
حصر يعيب ، ولا كلالة خاطر
الوادع السهل الطباع بغـــير ما
سلس لبـــاغ ، أو مهابة آمر
الصاحب المبـــقى على أصحابه
مابـــين واف منهم أو غادر
الوالد الـــبر الرفيـــق بولده
وبآله رفق العلـــيم الشاعر
الثـــائر الوطنى فى ميـــدانه
عجـــبى له من مســـتقر ثائر
الصارم المـــاضى السلاح وعنده
بعـــد ارتداد السيف عتبى عاذر

عرف الحقائق فاستراح جنانه
من سرعة الشاكى وبطء الشاكر

ووعى عواقبها فلم يع صدره
بغضاً لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده
علم على بعد، وعلم معاشر

كم مرّ من يوم ضحوك بيننا
أو مر من يوم عبوس كاشر

خضنا الحياة معاً على علاتها
متلاحقين مع الشباب الباكر

وجرى يراعانا معاً فى حلبة
عزت على غير الطمرّ الضامر

ذكراه والأيام عابرة بنا
نعم العتاد لذاكر ولعابر

ذكرى القشيب من الشباب تزينها
ذكرى المُشيب من الجهاد الظافر

عهدان من عمْـــرين لو نُسجا معا
لم تدر أيهمـــا مكان الآخر

* * *

يايوم منعـــاه سبقت بمنـــذر
فى الصدر من وحى الهواجس صادر
يومٌ لمست النحس قبـــل صباحه
وطويت فيه على الهموم ضمائرى
ومشى النهار إلىّ منقبض الضحى
كالليـــل ، مشية مستكين عاثر
حُيرت فيـــه فحين زالت حيرتى
زالت بأفدح من ظنون الحائر
بذهاب نابغة ومصرع غالب
وختام عهد بالعظائم عامر
وفجيعة لاكالفجائع فى أخ
وزميل أقـــلام وصنو منابر
تمضى السنون وفى الصحائف صفحة
تبيض فخـــراً ، وافتقاد محابر

ماكان خط مداده فى طرسها
إلا بياض جبينها المتباشر
أســـفى عليها وهى لابسةٌ له
ثوب الحداد من البياض الشاغر
وعزيزةٌ للتـــــــابغين نظائر
فى الشرق تتلى بعدهم بنظائر
فإذا بكى الباكى عليه فإنما
يذرى الدموع على عزيز نادر
وإذا جزيناه الوفاء فبعض ما
وفّى الحقوق لحاضر ولغابر
إن الذى حفظ العصور بذكره
حقٌّ له ذكرى الثناء العاطر
وتراث عبد القادر الباقى لنا
فيه « البلاغ » لقارئٍ ولذاكر

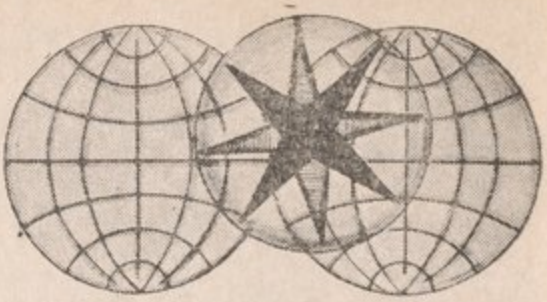

هُنا وَهُناك

LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمى بالجزيرة [١] وقفتى فى المقرن
حلمان حظهما خيا لا دون حظ الأعين
مادمت بينهما فما أنا سائلٌ عن مسكنى
وإذا التذكر عاد بى عطف الجديد فردّنى
ياجيرة «النيل» المبا رك : كلُّ نيل موطنى
وله سمىٌّ فى الصحا فة معرب لم يلحن
حييت فيه سميه وحمدت فيه مأمنى

---

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة والمقرن هوحديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين

صوت السودان

صوت[١] من السودان أسـ معنى بمصر فسرّنى
تهفو له الأسماع صا غيةً ولم يستأذن
فيه بشاشة وامق ومبشّر ومؤمن
لولا حفاوته الكريـمة ماعلمت بأننى[٢]
فارقت من مصر الجديـدة ذات يوم مسكنى
شكراً له صوتا تبَـ ـيّن من لسان بيّن
مستلهم لغة القلو ب مترجم بالأعين
شمل العروبة كلها وسرى إلىّ فحصنى
ماذا أقول وقد سُبقـ ت بكل قول ممكن
قدم العهود أحبّ لى من بدعة المتفنن
من كان ديدنه الصنا عة فالسليقة ديدنى

---

(١) إشارة إلى صحيفة صوت السودان الغراء من أكبر صحف الخرطوم
(٢) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا نجرى على مذهبهم فيه

شعر الأسود

كم هازل بالشعر جهده
يهذى به ويعاف جده
ماالشعر للنسناس رحده
كم ألهم التيان أسده

القمر والظلام

لاأوثر القمراء فى حسنها
على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يابدر يزينى الثرى
وظلمة الليل ترينى النجوم

صداح الأثير [١]

ملأ الآفاق صداح الأثير
لا فضاء اليوم . بل صوت ونور
لك من كل فضاء شاسع
حيثما يممتَ ، داع وبشير
ماصفاء الجو إن فتشته
غير إصداء حواليك تمور
لجب لكنه مستأذن
يطرق السمع بسلطان قدير
أوْ هى الأرواح إن قلت احضرى
حضرت ، أو شئت أعياها الحضور
قيل أمواج . فقلنا وبحور
من معان وبيان وشعور
تركب الألبابُ فيها سفناً
سبّقا بين طويل وقصير

---

(١) اقترحت محطة الاذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها

حملتْ من كل زاد ، وقرت
كل غاد ، ووعت كل أثير (١)
ولها فى كل يوم مدد
يلتقى الأول فيه والأخير

* * *

كان فرعون له مجلسه
وهو ذو الصرح المعلى والسرير
ولنا فى كل دار مجلس
يسع العالَمَ أيان يدور
هو ناد لك ، أو مدرسة
أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهمَ الذى زينه
فى الأساطير خيالٌ مستطير
دعوة المارد إن قيست إلى
دعوة المذياع ظن وغرور
بورك العلم لعمرى إنه
من صفات الله ، والله قدير

---

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى

ربما أسمعنا فى غـــــده
نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

* * *

مسمعَ العالم فى عاصمة
تسبح الدنيا إليها وتطير
لايقرّ الدهر إن مادت فإن
سكنت فالدهر حوليها قرير
بُنيت حينا على البأس وما
رصدته اليوم إلا لمغير
جمعت أوصالها حـــريةٌ
يستوى فيها قليل وكثير
وخصيم الأمس من أعدائها
هو فى معمعة اليـــوم نصير
كلهم ، والأمر شورى بينهم ،
مستجير فى حماه ومجـــير

* * *

عامك الثالث أم شرخ الصبا ؟
أنت فى مهدك جبار جسور

لست بالحبو خبـــيراً إنمـا
أنت بالوثب على الأفق خبير

راكبُ الريح إذا قيس إلى
خطوك الوانى سلحفـاة كسير

حدّث الدنيا حديث الضاد من
ساحة رتّل فيهـا شكسبير

وأعـــده سارياً حيث سرى
زمناً فى مغرب الشمس المنير

طالمـا رنت على آفاقـــه
نغمـات من نظـيم ونثير

من ربى أندلس حينـا ومن
قمم الأطلس حينـــاً والثغور

هاتهـا فى نســق موصـولة
يلتقى « بيرن » فيهـا وجرير

* * *

ناقل السر . وما أعجبـــــــه
فى رحاب الكون من سر جهير

تسمع القطبين ضدين كما
يسمع النجوى سميرٌ من سمير
عصب الأنساب ياهذا الأثير
أنت فى الأرض ، وفى الكون الكبير
كلنا فى رحبه عائلة
حين تسرى أنت أو حين تسير
تنظم القربى على طول المدى
من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عجبى من عالم تجمعه
أذنٌ — كم فيه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلم معاً
رب حرب هى للسلم عبور
أنت بالصدق كفيل أن ترى
أمم الأرض إلى الحق تصير
يملك اللب حليفا راضيا
من له فى دولة السمع سفير

—

إلى المستمع العربى بلندن [١]

دعوت إلى حق وأسمعت واعياً
فحييتَ مدعوا ، وحييت داعيا

وآثرت للعرب اللسان الذى به
تنزّل وحى الله للعرب هاديا

وناديتهم من جانب الغرب مثلهم
فتى عربيا واضح الصوت عاليا

أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة
ولم يسمعوا منه لساناً مداجيا

إذا الحر ناجى الحر فليلق قوله
صريحاً ، ولا يومئ إليه مواريا

على ذاك يمضى « اللندنى » محدثاً
فيصغى إليه « القاهرى » مواليا

ويصغى ابن بغداد إليه محدّثا
وينقل عنه شعب مكة راويا

---

(١) أذيعت فى مطلع العام الثانى لمجلة « المستمع العربى » التى تصدرها محطة الاذاعة العربية بالعاصمة الانجليزية

وفى جلق[1] واع ، وفى القدس شاخص
وفى برقة شاد يجاوب شاديا

حقائق فى شرق البلاد وغربها
يساجل فيها الحاضرون البواديا

يؤلف شمليهم على البعد أنهم
أبوا أن يطيعوا فى سوى الحق راعيا

وأنهم للظالمين بمرصد
طغاة على من يحكم الناس طاغيا

وأن الذى أوصى به الشرق بادئاً
تواصى به الأحرار فى الغرب تاليا

فيالكِ من حرية جمعتهما
إلى نسب عال عليه تلاقيا

وما عصبة الأحرار إلا أخوّة
إذا اشترك القطبان فيها تآخيا

فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له
عدوّاً لآمال الشعوب معاديا

---

(١) اسم من أسماء دمشق

ولا زال هـذا الشرق بالحق آمراً
ولا زال هـذا الشرق بالحق ناهيا

* * *

إلى «مسمع العرب» الكرام تحية
أحيي بهـا عاما من العمر ثانيا
أرى لك فى سن الفطام شبيبة
تسـابق فى العـام القرون الخواليا
وألمح من بشراك طالـع مولد
تلاقيـــه أبراج السعود حوانيـا
سبقتَ ركاب النصر حتى كأنما
خففت لتلقاه على القـــرب آتيا
وأتممت حولا واحداً فتحوّلت
مخاوف أقـــوام فلاحت أمانيا(١)
فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفا
إذا أسمـع الضلّيل أقبـــل ناجيا

---

(١) اتفق فى إبان الاحتفال بعام المجلة الثانى إن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية

تبلبلت الأسماع حينا ، وأطبقت
صروف قضاء ظنه القوم قاضياً
وهيهات ماكان الرجاء مغيبا
لمن رامه ، كلا ولا الأمر خافيا
يقيني الذى لم يطرق الشك سمعه
سحابةَ يوم أن للحق واقيا
وأن الذى خالوه صرعة هالك
نذيرٌ إذا ما اشتد أيقظ غافيا
وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا
على الساهر الجهد المكتم باديا
توثب للعدوان فليمض واثباً
على غرة منه لينقضّ هاويا

* * *

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى
فسلنى غداً عنها ، وما أنت ناسيا
سيدبر شر كان بالأمس مقبلا
ويقبل خير كان بالأمس نائيا

ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعا
ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا
كفيلى بما أنبأت صدق رويّةٍ
ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا
فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلةً
ولا خدعت يوما وفياً موافيا
غداً ، فانتظرنى باليقين إلى غد
وهاك التحايا قبله والتهانيا

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد !
ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرار شىء واحد واطّراد حال معاد

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ماشاء ولايستحى
هـــذا هو التاريخ لو أننى صورته يوما على المسرح !

النقـــــد

أعطيتهم لؤلؤا حرا فحـــين رأوا
صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !
وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا
خُريزةً فيـــه قالوا أكرم النـاس

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ
فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

رأى الناس

من عوّد الناس خيراً طالبوه به ... كأنه الدَّين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقّبهم شراً فأمهلهم ... يوما تقبّل منهم أجر مشكور
لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر ... ومالهم قط من حكم وتقدير

بين هم وسآمة

أتهتم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة ... إليك فما تخليك يوما من الهم
أليس لها هم ؟ فهاتيك خلة (١) ... صداقتها أضنى من الهم للجسم
وما بين هم دائم أو سآمة ... خيار لمختار وحكم لذى حكم
فخذها على علاتها والق عيشها ... شقياً بعلم ، أو شقيا بلا علم

---

(١) الخلة هى الخليلة والصديقة

الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ماتشتهى ...
وقد يساوى النفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ماتتقى
وقلما يغنيك فيه الحذر
كفؤان إن وازنت حظيهما ....
ياصاح . فاختر منهما ماحضر !

ياكتبى

فى ختام الجزء الاول من الاجزاء الاربعة المجموعة فى مجلد واحد قصيدة بهذا العنوان جاء منها هذه الأبيات :

ياكتبى أشكو ولا أغضب
ماأنت من يسمع أو يُعتب
ياكتبى أورثتنى حسرة
هيهات لاتنسى ولاتذهب

يا كتبي ألبست جـــلدى الضنى
لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليـــلة سوداء قضـــيتها
سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى
جماجم الموتى بدت تخطب (١)
والناس إما غارق فى الكرى
أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشـــق وافاه معشوقه
فنال من دنياه مايرغب
أو سادر يحلم فى ليـــله
بـــيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المـــرء بما يقتنى
وأنت لاجـــدوى ولامأرب
إلا الأحاديث وإلا المـــنى
وخـــبرة صاحبها متعب

* * *

(١) الكتب فى العالب موتى يتكلمون فاذا قرأت فيها فكأنك تصغى إلى جماجم تتكلم

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لارحم الرحمن فيمن مضى
من عـــلم العالم أن يكتبوا

والقصيدة الجديدة فى هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة ، وهذه هى :

شكوتها والعمر فى فجره
فكيف بى لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صالحتها ....
تلك التى تشـــكى ولا تغضب
تلك الـــتى قلت لها مرة
والقلب دام والحشـــا ملهب
« يا كتبى أورثتنى حسرة
هيهات لاتنسى ولا تذهب »
« ياكتبى ألبست جلدى الضنى
لم يغن عنى جلدك المذهب »
فالآن ياكتبى تعـــالى لمن
أخبث شىء عنـــده طيب

ما أنت شر من عناء المنى
وهى التى فى صدقها تكذب
ماأنت أقسى من شقاء الهوى
وهو الذى فى لهوه يتعب
ماأنت أغلى ثمنا ، إن غلا
من جوهر يكنز أو يعطب
ماأنت فى سكر وفى متعة
أخلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر
يسبق فينا « الدور » أويعقب :
غداً سنمسى كانا مالنا
فى العيش إلا رفك المترب
فليت لى إذ أنا تحت الثرى
جمجمة ثرثارة تخطب
رهطا من القراء يرضونى
رضاى عن بلواك إذ أغضب
ياكتبى ماشئت فلتحسبى
أو شاء قرائى فليحسبوا

عجز أو قدرة

علينى كيف لم تضطربى
بين أسماء الأقاصى والأدانى
أنا لو لاقيت أخرى مرة
خفت أن يخلط باسمين لسانى
الغوانى فى حجاب دائم ...
عبث كل سفور للغوانى
قدرة فيهن أم عجز طغى
أم هما فى لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد فى حاضرها
نسيها من غاب عنها كلّ آن

جواب جميل

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا
أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى
بنا الحب لم يرقد لنا أبداً جنب
وسل راقدى الأجداث عنه فإنهم
مجيبوك عن علم بمن قتل الحب !

* * *

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا
أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مزعج الموتى فلو كنت قادراً
على أن تهب اليوم من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سامعاً
هنا سر مقتول يبوح به صب !

الفقير

ثروة المرء بما يطلبه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلبا يطمح بالعين إليه
والذى أفقر منه طالب ودّ قلب ماله ودّ لديه

ويلنا

من غلا عنده السرور رخيص
كاسد السوق فى كبار الأمور
والذى يستحق كل سرور
عجبا يزدرى بكل سرور !
إن غلا عندنا النعيم رخصنا
ويلنا ويلنا بدار الغرور

سيان

إن قيل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان !
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان
سيان ألفٌ هى أو ألفان
سيان بيدٌ هى أو مغان
سيان نور أو ظلام فان
سيان من يلهو ومن يعانى
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخراً فقل سيان !

أتمـــنى

أتمنى يوما لوان حياتى تنقضى كلها ولا أتمـــنى
أتمنى وقـــد أطلت التمنى لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتـــنى الليالى باطل الأمر قبل أن أتمنى
منيـــة لو تحققت لتساوى ماتملكته وما أتمنى

الصرف والمزيج

رب مابالنا نغص بأحـــلى
ماشربنا وفـــيم يارب يحلو ؟
رب والعيش فيـــه حلو ومر
لم لايمحضان والأمر سهل ؟
لم لايصفوان فالشهد شهـــد
حين يعطى العباد والخل خل
إن خلا يشوب شهداً ضلال
ولشهد يشوب خـــلا أضل !

خداع النفس

يقول وما قضى عجباً فتى يخبط فى حدسه
أيخدع نفسه رجل له عينان فى رأسه ؟
أجل ياصاح : عينان ! وزد ماشئت من حسه
وهل أخدع الإنسا ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلبا أحاله إنسانا

ولم يقل :

إن للحظ صيرفيا أريبا يقتفى كيمياءه أحيانا

جنة الخيام

رغيف خبز ووجهٌ حلو ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن فى مذهب الخيام (١)

* * *

قالوا : ونودى يوما ما تشتهى فى يديكا
دع مطلبا منه فردا والباقيان لديكا

* * *

فخار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منير إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناها أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها فمال عنها كظيما :
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

---

(١) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسى وله رباعية بهذا المعنى

* * *

قالوا فناداه صوت يقول فى غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق

* * *

« أتلك جنة خلد تهذى بها ياحكيم
بمطلب إن عداها ترتدّ وهى جحيم ؟ »

بيجو

« . . . صور كثيرة بقيت فى خلدى من الاسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ

وستبقى ماقدر لها البقاء

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء وذلك هو صديقى « بيجو » الذى فقدناه هناك .

وإنى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ماألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير . . فكم من مبجل بينهم ولاحق له فى أكثر من العصا . وكم من محقر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار .

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى

مرسى مطروح ، أو فى السلوم وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له ماجمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياما فى القاهرة وأياما فى الاسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع . ولكنّ المخلوق الأمين الوفى أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الاسكندرية وكلما رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية . وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى « فى عالم السدود والقيود »

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار . وبيجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ماهو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : « ياشيخ أحمد » ! فإذا بيجو تحت

أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح يجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الاسكندرية ومن الاسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز . ثم أصابه فى الاسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشيا فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكانا أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه

وإنى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب حجرتى وخدش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعاً فى ركنه يرفع إلىّ رأسه بجهد ثقيل . وينظر إلىّ نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار . أحس المسكين وطأة الموت

فتحامل على نفسه وخطا من حجرته إلى باب حجرتى وجلس هناك يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد على النظر والسكوت

كان اليوم يوم أحد . ولكنا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة لوجوده حتى وجد، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذى تعلق به وعطف عليه، لفرط ما آنسه أثناء علاجه من ذكائه وألاعيبه ومداعباته . ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التى لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول . ولكنى لا أحسبنى ناسيا ماحييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل، يقول بها كل ما تقوله عينٌ خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار . كأنه يعلم أنه أقلقنى ولا يحسب ما كان فيه عذراً كافيا لإقلاق صديقه

ومن شهد هذا المنظر مرّة فى حياته علم أنه لا ينسى، فإن لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظا من الخلائق الإنسانية، لأن البعد من العطف

على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان . بل يقربه منه غاية التقريب ...»

* * *

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها مايصلح أن يكون مقدّمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدّمة تفتقر إلى تتمة من مقال آخر نشر فى الرسالة أيضاً بعنوان «كلبى بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

«.... أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إلىّ ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى، ولايدرى أننى أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل مايدريه أننى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففى كل مكان فى البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألاعيبه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذاهو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة

وأحييه بعبارات التودد والمساجلة ... ينتظر منى ذلك فى كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لايدرى مايصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : مابال صاحبي لاينادينى ولا يجيبنى ؟ ومابال عينيه تتجهان أمامه وقلما تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التربيت والاحتفاء ، ولايزال كذلك حتى ييأس ويسأم فيولى وجهه شطر ألعوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه ولايفرضها أحد عليه ، وأولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبغنى اليوم إلى المكتب ونظر إلىّ قليلا ثم غادر المكان الملعون يائساً عابساً دون أن يلح فى الانتظار والمناورة . لأنه تعلم بالمرانة الطويلة أن الانتظار فى هذا المكان لايفيد . وأن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبر ولاتأمل ولاإطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عادته فرفعت رأسى من الورق فى بعض جيئاته وصحت به منادياً : بيجو ! بيجو !

تعال ! إن كتابى اليوم تعنيك . ألا تريد أن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكد يصدق أذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسى فالمكتب حيث الورق الذى أخط عليه هذا المقال . كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع مافيه ، وكأنه لايفضل بالعقل والرشد أولئك الآدميين الذين يعنيهم مايكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأول وهلة .

ولكنه مالبث أن أخافنى من أسلوبه فى القراءة والمطالعة . لأنه هو والتمزيق فى عرفه شىء واحد ، وهل هو بدع فى أسلوبه وهذا شأن كثير من الآدميين الذين أكتب عنهم ؟؟! فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب !

ويجب أن أعترف للقراء بأن كلبى « بيجو » ليس بكلبى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديق العزيز « فيفى » الذى لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين . ولا إخاله إلا مطالبى به قريباً بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد

والأصل فى المصائب أن تجمع بين الأصدقاء لا أن تفرق

بينهما كما افترق فيفى وصديقه بيجو . ولكن اللوم فى هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها ـ أى على إفراطه فى الصداقة لا على تقصيره فيها ـ فمعاذ الله أن يتهم كلب بخيانة الأصدقاء .

كان بيجو يرى « فيفى » على سريره ساكناً من التعب والإعياء فلا يحسب أن شيئاً تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى المواثبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلا أهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أقبل الطبيب وصرخ « فيفى » من مقاربته وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأطفال من جميع الأطباء فما هى إلا لمحة كأسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب « بيجو » توشك أن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه اتقاءً لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه العزيز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه

لهذا عوقب « بيجو » على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه فى أثناء توعكه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته وحراسته أيام منفاه حتى تنجلى الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح « بيجو » شخصية من شخصيات البيت المعدودة . وحتى فرض على نفسه واجبات وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت قاطعته فيها أو عوّقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقا عاطلا لا يصلح لعمل ولا يؤتمن على واجب ... عرف الفرق بين جرس التليفون وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بعضه والوثوب عليه

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب ولم يفعل كما تعوّد أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ، ولكن تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاولة الأعمال والواجبات

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها عليه أحد أنه لا يدع إنساناً ولا حيواناً يصعد السلم إلا أدركه بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلىّ ولا يزال يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . لأجل الطعام يهش لى « بيجو » هذه

الهشاشة ويرعانى هذه الرعاية ؟ أنا أود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أسباب وفائه وتعلقه بأصحابه . ولكنْ لاشك أيضاً فى أن الكلاب تفهم للمودة أسبابا غير الإطعام وتدرك معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأوضح دليل على ذلك أن « بيجو » يعتبر نفسه تابعاً لمولاه « فيفى » ولا يعتبر نفسه تابعاً لأبيه أو خادم أبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما « فيفى » فهو لايطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أويقبض على لسانه أويضع أصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لايقابل الأذى بمثله ولا يفتأ متعلقاً بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى « فيفى » مع أبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أن يخف « بيجو » إلى الأب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ماالتفت إلى «فيفى» العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويئنّ أنيناً من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهداً شديداً فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ماأرهقه بتحياته ومجاملاته .

وكنا سبعة منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأخ له أديب جمّ الاطلاع وصديق مهذب من أدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هـذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآماق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والمجاراة غير الصلة النفسية التى لاشأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعاً للطفل ولا يحسب نفسه تابعاً لأبيه ؟ إنه لا يفقه أنهم أهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيره ، ولكنه قد يفقه أنه ثده وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصبيانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أن « بيجو » لا يطيق « الطاهى » أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديداً له بالعقوبة والإقصاء ... وهو مع هذا يألف فراش المنزل « محمداً » ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فلم كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ! ؟ كلاهما يقدّم له الطعام ويزيد صديقه « محمد » بتجريعه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أحياناً وهو يمقته

وينفر منه أشد النفور . غير أن الطاهى «أحمد حمزة» يتحاشى «بيجو» خوفاً من النجاسة فيشعر «بيجو» بجفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريع والغصص من زميله لأنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه «للمعانى» الفكر به أنك إذا لمسته بالعصا وهو غافل عن رؤيتها فهو لا يبالى ولا يحفل ولا يحسبك غاضباً أو قاصداً لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هى عصا التأديب التى تخوّفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب ...

والخلاصة أن «بيجو» مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يمقتها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جليلة وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجع من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلماً من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها

عاشرت الإنسان طويلا فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار «الفاشية» إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يدحض ذلك أيما ادحاض ، لأنه قد تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد «بيجو» بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم «بافلوف» صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام

فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها

فى بعض الأطفال، فجعلوا يقرنون الشىء المخيف بالشىء المحبوب ليعوّدوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه، ويقرنون الشىء المرذول الذى يحبه الطفل بالشىء المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفواً بغير أمر ولا إلحاح .

بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق، لأنهم كانوا يقيدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس المنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه ... لأنه تعوّد كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المنذورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أخرى يشارك فى تفسيرها وتفهمها وفضائل شتى يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن فى بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذى نخشى أن نسطو عليه . لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو « بيجو » لا أرانى بحاجة إلى اعتذار من الحزن عليه والوفاء لذكراه . فإنه لم يخطئ فى وفائه ولم يخطئ فى خلقته . ولم يخلق إنساناً فدنس الإنسانية بالغدر ولكنه خلق كلباً فشرّف الحيوانية بالوفاء .

بيجـــو

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهـــد ماأستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
والله - يابيجو - لحزن وجيع

* * *

حزناً عليـــه كلما لاح لى
بالليـــل فى ناحيـــة المنزل
مسامرى حينـــاً ومستقبلى
وسابقى حينـــاً إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما دازيت إحدى التحفْ
أخشر عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف ...
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى
وكلما اطمأننت فى مسكنى
مستغنياً . أو غانياً بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسياً :
بيجو ! ولم أبصر به آتيا
مداعباً مبتهجاً صاغيا . . .
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحسبنى ذاكره ماحيت
لوجاءنى نسيـــانه مارضيت
يجـــو معزىّ إذ ماأسيت
يجو مناجىّ الأمين الوديـع

* * *

يجو الذى أسمع قبـل الصباح
يجو الذى أرقب عنـد الرواح
يجو الذى يزعجـــنى بالصياح
لو نبحةٌ منـه ، وأين النبـاح ؟
ضيعت فيها اليوم مالا يضيع

* * *

خطوته . . يابرحها من ألم
يخـدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بنظـرة أنطق من كل فم
ياطول ماينظر . ! هذا فظيع

* * *

نم لا أرى النوم لعينى يطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
ياآل قطمير هواكم عجيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لايحد
عيناى فى ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجزاء
ياواهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لوصح هذا ما محضت الوفاء
لغائب عنك . وطفل رضيع

الفهرس

٣ الإهداء

٥ مقدمة فى اسم الديوان

١٧ فى العالم

٢٥ فى النفس

٨٣ فى مصر

١٠٣ فى عالم الذكرى

١٣١ هنا وهناك

رسوم الديوان

للفنان الفاضل الأستاذ صالح سعودى شكرُ صاحب الديوان على الرسوم التى أبدعتها ريشته لعناوين أبواب الديوان وختام بعض القصائد . فمثل بها معانيها للعيان .

تصحيح

فى السطر الثانى من الصفحة الـ ٦٧ « نظرت» وصوابها نذرت

AUC - LIBRARY

DATE DUE

A.U.C
3 APR 1999

PJ
7814
Q6
A3x
1942

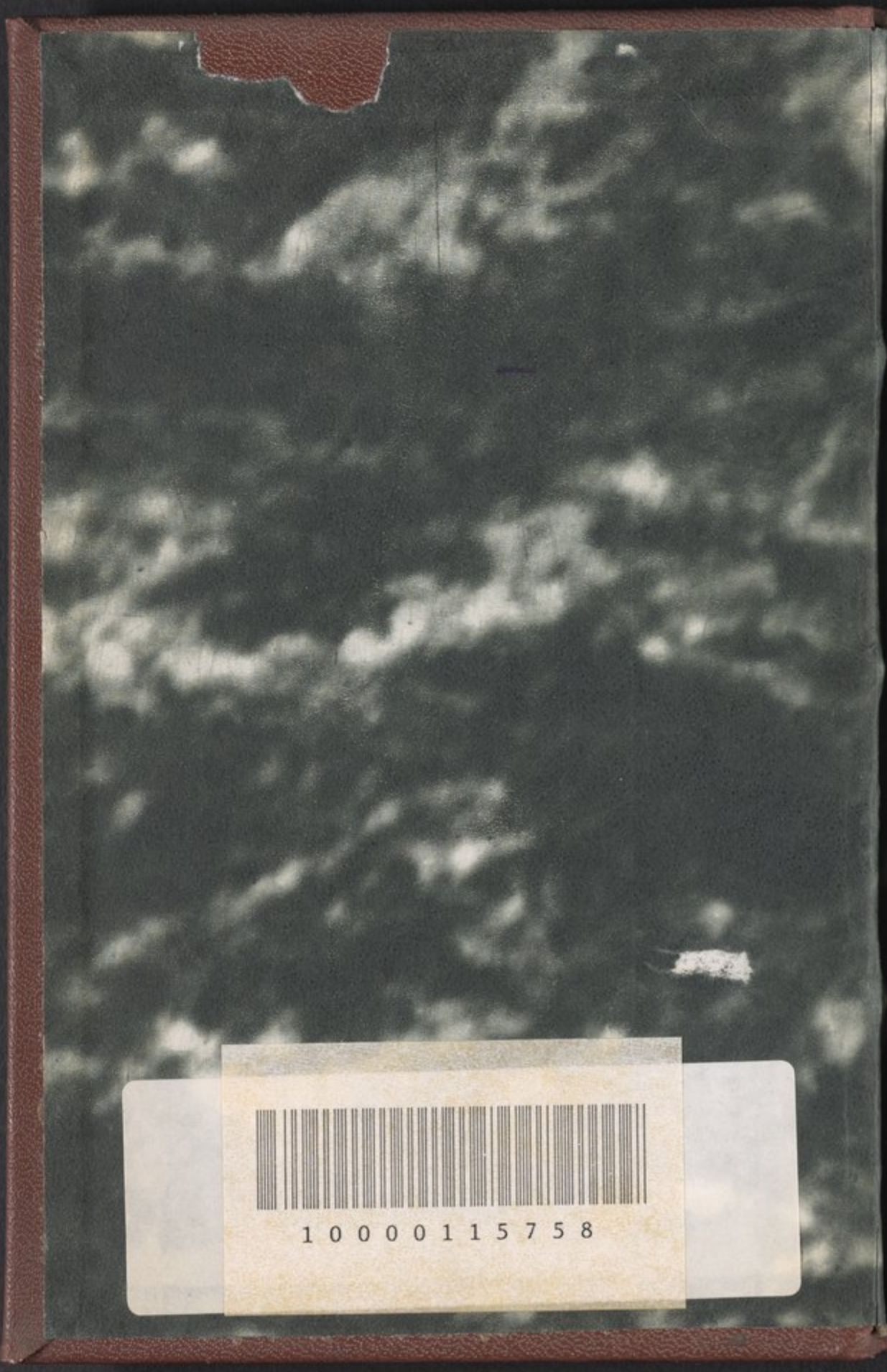
10000115758